

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

University of Djilali Bounaama - Khemis Miliana

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

Faculty of Social and Human Sciences

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

Vice Deanship for Postgraduate Studies, Scientific Research, and External Relations

المجلس العلمي

The Scientific Council



خميس مليانة: 06 أكتوبر 2026

الرقم: 86/.../2026

مستخرج من محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية رقم 2026/03

المنعقد بتاريخ: 2026/06/03

بالجلسة المنعقدة بتاريخ: 2026/06/03، صادق المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة على مطبوعة دروس للأستاذ(ة): محمد الأمين بن خيرة .

موسومة بـ: " أنتروبولوجيا جنائية "

والموجهة لطلبة قسم: علم الاجتماع، المستوى: السنة الثانية ماستر، تخصص: علم الاجتماع

الانحراف والجريمة.

وذلك بناء على التقارير الإيجابية للأستاذين:

1- د. كيروور نصر الدين، جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2-

2- د. نورة ثليجاني، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة.





وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة -



كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية لمقياس

أنثروبولوجيا جنائية

موجهة لطلبة السنة الثانية ماستر علم الاجتماع والانحراف والجريمة



إعداد الأستاذ:

محمد الأمين بن خيرة

السنة الجامعية: 2025-2026

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	معلومات عن المقياس
	البطاقة التقنية للمقياس
	الأهداف العامة للمقياس
	المكتسبات القبلية
أ	مقدمة
	المحور الأول: مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية
08	مفهوم الأنثروبولوجيا
09	طبيعة الأنثروبولوجيا وأهدافها
11	نشأة وتطور الأنثروبولوجيا
24	مفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية
26	مجالات الأنثروبولوجيا الجنائية
28	علاقة الأنثروبولوجيا الجنائية بالعلوم الأخرى
	المحور الثاني: التكوين البيولوجي للفرد المجرم
34	النظريات البيولوجية الجنائية قبل لمبروزو
34	أهم الدراسات البيولوجية الجنائية
36	أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية
39	النظرية البيولوجية الجنائية لدى لمبروزو
40	مواضيع النظرية اللومبروزية
41	الأنطروحات اللامبروزية (المدرسة البيولوجية الإيطالية)
43	تصدع نظرية لمبروزو (النقد)
45	النظريات البيولوجية الجنائية بعد لمبروزو
45	الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأوروبية
45	دراسة بينينو دي تيليو (الاستعداد الإجرامي)
49	تشارلز قورنق (1870-1919)
50	الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأمريكية

50	دراسة أرنست هوتون
52	دراسة ويليام شيلدون
52	دراسة أرنست كرتشمير
المحور الثالث: أثر العوامل البيئية في تكوين الفرد المجرم	
البيئة العائلية ودورها في تكوين الفرد المجرم	
55	إجرام بعض أفراد العائلة
56	غياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة
58	عدم التوافق بين أفراد العائلة
59	التربية العائلية الخاطئة
61	الظروف الاقتصادية للعائلة
البيئة المدرسية ودورها في تكوين الفرد المجرم	
64	سوء اختيار المدرسين
65	سوء اختيار القائمين على إدارة المدرسة
بيئة العمل ودورها في تكوين الفرد المجرم	
69	الاختيار الخاطئ للمهنة أو العمل من قبل الفرد
70	نوع العمل أو المهنة ذاتها
71	السلوك المنحرف لبعض الرؤساء والزملاء في العمل
72	عدم الالتزام بتطبيق التشريعات الخاصة بالعمل
البيئة الترويحية ودورها في تكوين الفرد المجرم	
73	المكان
74	أوقات الفراغ
75	الوسائل الترويحية
	الخاتمة.
	قائمة المراجع.

1- بطاقة تقنية للمقياس:

اسم المقياس: الأنثروبولوجيا الجنائية

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص: علم اجتماع الانحراف والجريمة

نوع المقياس: محاضرة

السداسي: الثالث

الرصيد: 05 المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 1 ساعة و 30 د

2- الأهداف العامة: من خلال دراسة هذا المقياس سيتمكن الطالب من:

- التعرف على نشأة العلاقات الاجتماعية والثقافية وكيفية تطورها.
- التعرف على البناء الجسماني للإنسان وسلوكه.
- التعرف على أهمية دراسة أصل الجنس البشري وتطوره.
- مناقشة تأثير التاريخ الإنساني القديم على الحاضر الثقافي والاجتماعي.
- المقارنة بين أوجه التداخل بين اختصاص الطب الشرعي والأنثروبولوجيا الجنائية.
- تبيان دور الأنثروبولوجيا الجنائية في البحث عن البقايا الآدمية.

3- المكتسبات القبلية:

من بين الأمور الواجب على الطالب معرفتها قبل دراسة هذا المقياس أن يكون مطلعًا على ماهية الأنثروبولوجيا العامة، وكذا فروعها (الأنثروبولوجيا البيولوجية أو البدنية، الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، أنثروبولوجيا الآثار القديمة، الأنثروبولوجيا اللغوية).

المقدمة

تعرف الأنثروبولوجيا كعلم الإنسان أو علم دراسة سمات وخصائص الإنسان، فهي لا تقتصر على جانب واحد بل تتعدى في الدراسة إلى جوانب مختلفة ومتعددة، لهذا نجد ظهور العديد من التخصصات في مجال الأنثروبولوجيا منها الأنثروبولوجيا الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية...، ومن خلال هذه المطبوعة البيداغوجية سنحاول التطرق إلى الأنثروبولوجيا الجنائية التي تعتبر كفرع من الأنثروبولوجيا العامة، بحيث تعرف على أنها علم طبائع المجرم أو دراسة السمات الخاصة بالإنسان المجرم.

ويستمر تقسيم محتوى هذه المطبوعة إلى ثلاثة محاور رئيسية متمثلة فيما يلي:

المحور الأول والذي سنتطرق فيه إلى مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية، بحيث سنعالج فيه مفهوم الأنثروبولوجيا والمفاهيم المشابهة لها، بالإضافة لمفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية ومجالاتها، علاقة الأنثروبولوجيا الجنائية بالعلوم الأخرى، بالإضافة لأهم الانتقادات الموجهة للأنثروبولوجيا الجنائية.

المحور الثاني يتمثل في التكوين البيولوجي للفرد المجرم، بحيث سنتطرق فيه إلى النظريات البيولوجية الجنائية قبل لومبروزو من خلال الحديث عن أهم الإسهامات الأولية الجادة في هذا المقياس، ثم تليها النظريات البيولوجية الجنائية لدى لومبروزو من حيث التطرق لنظريته بالنقاش والتحليل وكذا تصدع نظريته وأهم الانتقادات الموجهة له، وبعدها الدراسات البيولوجية الجنائية بعد لومبروزو بالنسبة للمدارس الأوروبية والأمريكية.

ليأتي المحور الثالث والذي سنعالج فيه أثر العوامل البيئية في تكوين الشخص المجرم، من خلال الحديث عن البيئة العائلية وكيفية مساهمتها في تكوين الشخص المجرم، بالإضافة للبيئة المدرسية، بيئة العمل، وأخيرا البيئة الترويحية.

المحور الأول

مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية

المحور الأول: مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية.

إذا أردنا دراسة أي علم لابد لنا في البداية من معرفة مفهومه وكذا المفاهيم المتعلقة به، لذلك سنحاول التطرق لمفهوم الأنثروبولوجيا العامة من حيث مفهومها ومجالاتها في الجانب البحثي والعلمي، وكذا علاقته بالعلوم الأخرى.

1- مفهوم الأنثروبولوجيا:

لفظة أنثروبولوجيا Anthropology كلمة إنجليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنثروبوس Anthropos ومعناه "الإنسان"، ولوجوس Locos ومعناه علم، وبهذا يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان"، أي العلم الذي يدرس الإنسان.

كما تعرف الأنثروبولوجيا بأنها علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا أي؛ فالأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما تدرسه بوصفه كائنا اجتماعيا بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين.¹

وقد تطور المصطلح حسب هيدون Haddon كمايلي:²

أ- استعمل أرسطو المصطلح بمعنى "الشخص الذي يتحدث عن نفسه"

ب- استعمله الألماني هونت Hunt عام 1501 عنوانا لكتابه "الأنثروبولوجيا" للدلالة على الخصائص التشريحية لجسم الإنسان.

ج- ظهر مرة أخرى مع كوبيل Copella عام 1533 في كتابه L'Antropologia بمعنى الصفات الشخصية والفردية.

فالأنثروبولوجيا تهتم بدراسة أعمال الإنسان وسلوكاته ضمن بيئته الاجتماعية، من خلال التركيز على كل ما يتعلق به سواء كان ذلك (نفسيا، اجتماعيا، حضاريا، ثقافيا، لغويا...).

¹ - عيسى، الشماس. مدخل إلى علم الإنسان (الأنثروبولوجيا). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص ص 13-14.

² - عبد العزيز محمد، خوجة. محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. محاضرات موجهة لطلبة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، الجزائر 2014-2015، ص ص 01-04.

1-1 طبيعة الأنثروبولوجيا.

إن الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية جميعها تطلق على علم الأنثروبولوجيا (علم الانسان وأعماله) بينما يطلق المصطلح ذاته في البلدان الأوروبية غير الناطقة بالإنجليزية عليه بـ (دراسة الخصائص الجسمانية للإنسان)، ويصل هذا الاختلاف إلى طبيعة علم الأنثروبولوجيا، فبينما يعني في أوروبا الأنثروبولوجيا الفيزيائية، وينظر إلى علمي الآثار واللغويات كفرعين منفصلين، فإن الأمريكيين يستخدمون مصطلح (الإثنولوجيا أو الإثنوغرافيا) لوصف (الإثنوغرافيا الثقافية)، والتي يطلق عليها البريطانيون (الأنثروبولوجيا الاجتماعية).

ففي إنجلترا مثلاً، يطلق مصطلح الأنثروبولوجيا على دراسة الشعوب وكيانها الاجتماعية، مع ميل خاص للتأكيد على دراسة الشعوب البدائية، أما في أمريكا فيرى العلماء أن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة، في حين أن علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح دراسة الإنسان من الناحية الطبيعية، أي العضوية¹، وتبعاً لما تم التطرق إليه نجد أن هناك صعوبة في تحديد طبيعة الأنثروبولوجيا من منطقة لأخرى ومن بلد لآخر، وهو ما يفتح المجال لتحديد بعض المفاهيم أكثر في صورة (المنوغرافيا، الإثنوغرافيا، الإثنولوجيا...).

واستناداً للمنطلقات السابقة، فقد حددت الباحثة الأمريكية (مارغريت ميد) طبيعة علم الأنثروبولوجيا وأبعاده بقولها: "إننا نصف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية والثقافية) كأنساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما تهتم أيضاً بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته، وبصفة عامة - نحن الأنثروبولوجيين- لتفسير نتائج دراستنا والربط فيما بينها في إطار نظريات التطور، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.²

¹ - عيسى، الشماس . مرجع سابق. ص 15.

² - الطاهر، غراز. محاضرات في مقياس انثروبولوجيا اجتماعية وثقافية. مطبوعة للسنة الثانية علم اجتماع، قسم علم اجتماع، جامعة الصديق بن يحي جيجل، 2018-2019، ص 4.

1-2 أهداف الأنثروبولوجيا.

لكل علم أهداف معينة يسعى للوصول إليها وتحقيقها، وقد نجد أن بعض العلوم تتفق في (التفسير، التنبؤ والتحكم)، لكن حسب "رالف لنتون" نجد أن أهداف الأنثروبولوجيا تتمثل فيما يلي:

- وصف المظاهر البشرية والاجتماعية والثقافية والجسدية بشكل دقيق، من خلال معاشة ذلك المجتمع وتسجيل كل سلوكاته اليومية.

- تصنيف الأنماط المعيشية ومظاهرها إلى أشكال واقعية تسمح بتفسير حياة الأفراد وتحديد تطور هذه الأصناف حضاريا وإنسانيا.

- تتبع نمط التغير الإنساني وأسبابه ونواتجه وربط الواقع الحاضر بالتراث السابق، والمقارنة بينهما وبين المجتمعات الأخرى أيضا.

- التنبؤ بحركة المجتمع المستقبلية في عمقها وشموليتها طبقا للدراسة المنجزة، بالرغم من سيطرة التنظيمات العرقية في هذا العلم واستمراريتها ومحاوله المعاصرين تجاوزها.¹

وتبعا للأهداف سالفة الذكر يتبين لنا أن الأنثروبولوجيا تهدف لدراسة الإنسان ووصفه سواء في تركيبته الجسدية أو العرقية وكذا نظم القرابة، بالإضافة للأعمال الثقافية التي يقوم بها، لهذا فقد نجد أن طريقة أو أسلوب المعاشة والملاحظة المباشرة يعتبران من بين أهم التقنيات المساعدة في الدراسة العلمية للأنثروبولوجيا، كمعاشة أفراد وتسجيل أحداثهم اليومية، كما قد يلجأ الباحث الأنثروبولوجي إلى المنهج المقارن وكذا التاريخي من خلال دراسة الحاضر وربطه بالماضي، سواء من حيث القيم، العادات، التقاليد، اللغة، الديانة...

"وإذا كان علم الأنثروبولوجيا بدراساته المختلفة قد استطاع أن ينجح في إثبات الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوره الثقافي/الحضاري، فإن أهم ما أثبتته هو أن الشعوب البشرية بأجناسها المتعددة، تتشابه إلى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية".²

¹ - عبد العزيز محمد، خواجه. محاضرات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. مرجع سابق. ص 11.

² - عيسى، الشماس. مرجع سابق. ص 19.

1-3: نشأة وتطور الأنثروبولوجيا:

1-3-1: في العصر القديم: يتفق معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أنّ الرحلة التي قام بها المصريون القدماء في عام 1493 قبل الميلاد إلى بلاد بونت (الصومال حاليا) بهدف التبادل التجاري، تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب، وقد كانت الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب، على متن كل منها 31 راكبا، بهدف تسويق بضاعتهم النفيسة التي شملت البخور والعطور، وقد نتج عن هذه الرحلات اتصال المصريين القدماء بأقزام إفريقيا، وتأكيذا لإقامة علاقات معهم فيما بعد.

1-3-1-1 عند الاغريق (اليونانيين القدماء):

يعد المؤرخ الاغريقي (اليوناني) هيرودوتس Herodotus الذي عاش في القرن الخامس ق/م، وكان محبا للأسفار، أول من صور أحلام الشعوب وعاداتهم وطرح فكرة تنوع الفوارق بينهم، من حيث النواحي السلالية والثقافية واللغوية والدينية، لذلك يعتبره معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ.

- يعتبر أول من قام بجمع معلومات وصفية ودقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية (حوالي 50 شعبا)، تناول بالتفاصيل تقاليدهم، عاداتهم، ملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية، إضافة إلى أنه قدم وصفا دقيقا لمصر وأحوالها وشعبها وهو قائل العبارة الشهيرة: "مصر هبة النيل".¹

- لاحظ أن كهنة المعابد يطلقون شعر رؤوسهم، في حين أن كهنة المصريين بالعكس يلقونها، وخلال فترة إصابة أحد الأقارب فأغلب الشعوب تحلق رأسها، على عكس المصريين الذين يطلقون شعور رأسهم ولحاهم في فترة الحداد.

يمكن الإشارة أيضا إلى أعمال أرسطو في وصف تطور الكائنات وارتقائها، ووصف أنماط الشعوب وفقا لأنظمتها السياسية وحكوماتها.²

وتعتبر أعمال هيرودوتس كإسهامات أولية في حقل الأنثروبولوجيا، من خلال اعتماده على أسلوب الملاحظة في وصف هذه الشعوب من حيث ثقافتهم وحياتهم وكذا نظمهم الاجتماعية، وهو ما ينطوي على بعض أساسيات المنهج الإثنوغرافي، وهو الذي يعطي مصداقية للبحوث أكثر من أساليب الوصف والتخيل.

¹ - الطاهر، غراز .مرجع سابق، ص 6.

² - عبد العزيز محمد، خواجه .مرجع سابق. ص 16.

1-3-1-2 - عند الرومان:

امتدت الامبراطورية الرومانية بحوالي ستة قرون، تابع من خلالها الرومان ما طرحه اليونانيون من مسائل وأفكار حول بناء المجتمعات الانسانية وطبيعتها، وتفسير التباين والاختلاف فيما بينهما، ولكنهم لم يأخذوا بالنماذج المثالية المجردة للحياة الانسانية، بل وجهوا دراساتهم نحو الواقع الملموس والمحسوس، ومع ذلك لا يجد الأنثروبولوجيون في الفكر الروماني ما يمكن اعتباره كإسهامات أصيلة في نشأة علم مستقل لدراسة الشعوب وثقافتهم أو تقاليدهم راسخة لمثل هذه الدراسات.¹

ولكن يمكن أن يستثنى من ذلك أشعار (كارلوس لوكريتيوس) التي احتوت على بعض الأفكار الاجتماعية الهامة، فقد تناول موضوعات عدة عرضها في ستة أبواب رئيسية، ضمنها أفكاره ونظرياته عن المادة وحركة الأجرام السماوية وشكلها وتكوين العالم... وخصص الباب السادس لعرض فكري التطور والتقدم، حيث تحدث عن الانسان الأول والعقد الاجتماعي ونظامي الملكية والحكومة، ونشأة اللغة، إضافة إلى مناقشة العادات والتقاليد والفنون والأزياء والموسيقى، كما استطاع لوكريتيوس أن يتصور مسار البشرية في عصور حجرية ثم برونزية ثم ذهبية.²

ومن خلال العرض السابق نجد أن الرومان ركزوا على دراسة الواقع الملموس بدلا من النماذج المثالية، ورغم أن الباحثين لا يجدون في الفكر الروماني علما مستقلا لدراسة الشعوب، إلا أن مساهماتهم كانت جوهرية في وضع اللبنات الأولى لوصف الثقافات.

بحيث يبرز الفيلسوف لوكريتيوس كشخصية محورية، حيث قدم رؤية مادية تطورية من خلال كتاباته حول فكري التقدم والتطور، وهو الأمر الذي لطالما اهتمت به الأنثروبولوجيا من خلال أعمال الإنسان وتطورها وكذا تعاقب الحضارات وتنوعها، ومنه يمكن القول بأن الخبرة الأنثروبولوجية للرومان لم يتم تدوينها وتسجيلها على شكل كتب وأفكار نظرية، باعتبار أن الرومان اهتموا بالحملات والعمليات العسكرية.

¹ - الطاهر، غراز. مرجع سابق. ص 07.

² - نفس المرجع السابق، ص 07.

3-1-3-1 عند الصينيين القدماء

يعتقد بعض المؤرخين، ولا سيما الأنثروبولوجيون منهم، أنه على الرغم من اهتمام الصينيين القدماء بالحضارة الرومانية وتقديرها، فلم يجدوا ما ينافس حضارتهم، بحيث كان الصينيون القدماء يشعرون بالأمن والهدوء داخل بلادهم، وكانوا مكتفين ذاتيا من الناحية الاقتصادية المعاشية، حتى أن تجارتهم انحصرت في تبادل السلع والمنافع، من دون أن يكون لها تأثيرات ثقافية عميقة، فلم يعبأ الصينيون في القديم بالثقافات الأخرى خارج حدودهم، ومع ذلك لم يخل تاريخهم من بعض الكتابات الوصفية لعادات الجماعات البربرية، التي كانت تتسم بالازدراء والاحتقار.¹

وقد تميز الصينيون القدماء بالعنصرية، بحث كانوا يعتقدون -كالرومان- أنهم أفضل الخلق، وأنه لا وجود لأي حضارة أو فضيلة خارج جنسهم، بل كانوا يرون أنهم لا يحتاجون إلى غيرهم في شيء...، ولكي يؤكد ملوكهم هذا الواقع فقد أقاموا "سور الصين العظيم" حتى لا تدنس أرضهم بأقدام الآخرين، كما اهتم فلاسفة الصين القدماء بأخلاق وشؤون المجتمعات البشرية من خلال الاتجاهات الواقعية العلمية في دراسة أمور الحياة الانسانية ومعالجتها، فمعرفة الأنماط السلوكية التي تربط بالبناء الاجتماعي في أي مجتمع تسهم في تقديم الدليل الواضح على التراث الثقافي لهذا المجتمع.²

بحيث يتضح لنا من خلال ما سبق أن الأنثروبولوجيا في العصر القديم لم تلق اهتماما كبيرا باستثناء أعمال المؤرخ الإغريقي (هيرودوتس) الذي قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير الأوروبية، أما الرومان فقدوا تميزوا بالعنصرية، واهتموا بالعمليات العسكرية وهو ما حال بينهم وبين تسجيل الخبرة الأنثروبولوجية وتدوينها في شكل كتب وأفكار نظرية، دون أن ننسى طبعا الصينيين القدماء الذين كانوا ينكرون الحضارات الأخرى، ورأوا في حضارتهم على أنها الأسمى والأرقى، وبدورهم لم يتأثروا بالحضارات والثقافات الأخرى.

¹ - عيسى، الشماس. مرجع سابق. ص ص 26-27.

² - غراز، طاهر. مرجع سابق. ص 08.

1-3-2: في العصور الوسطى.

تقع هذه الفترة بين القرن الرابع والقرن الرابع عشر، وهو تصنيف أوروبي يتموقع بين نهاية فترة الحضارة الأوروبية والفلسفات الكبرى (الإغريق والرومان)، وبداية النهضة الأوروبية (عصر التنوير)، وهذه الفترة تعتبر في تصورهم مرحلة (ظلامية) تراجع فيها الجانب الفكري بشكل كبير في أوروبا على كل المستويات مع سيطرة الكنيسة والفكر الخرافي، في حين كانت بداية ازدهار الحضارة الإسلامية وتقدمها وتطورها من جهة أخرى.¹

1-2-3-1 العصور الوسطى في أوروبا:

"يذكر المؤرخون أنه خلال العصور الوسطى تدهور الفكر العقلاني، وأدانت أية أفكار تخالف التعاليم المسيحية، أو ما تقدمه الكنيسة من تفسيرات للكون والحياة الإنسانية سواء في منشئها أو مآلها، ففي تلك العصور انتشر الارهاب الديني المسيحي وسيطرت الكنيسة سيطرة مطلقة على اتجاهات الفكر الاجتماعي".²

فقد سادت في هذه الفترة الأفكار الظلامية والخرافية، من خلال سيطرة الكنيسة على الحياة الاجتماعية للأفراد، وحوكم كل من يخالف التعاليم المسيحية إما بالقتل أو النفي.

لقد ظهرت في هذه المرحلة محاولات عدة للكتابة عن بعض الشعوب، ولكن أغلبها اتسمت بالوصف التخيلي بعيدة عن المشاهدة المباشرة على أرض الواقع، مثال ذلك ما قام به الأسقف أسيدور (560-636 م) حيث أعد في القرن 7 ميلادي موسوعة عن المعرفة، وأشار فيها إلى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم، لكن بطريقة وصفية عفوية تتسم بالسطحية والتحيز، ومما ذكره أن أبعد الشعوب عن أوروبا وأقربها عنها يحدد درجة تقدمها، فكلما كانت المسافة بعيدة كان الانحطاط والتدهور الحضاري مؤكدا لتلك الشعوب.³

¹ - عبد العزيز محمد، خواجة. مرجع سابق. ص 19.

² - حسين، فهميم. قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ الإنسان. الكويت: عالم المعرفة، 1987، ص 50.

³ - عيسى، الشماس. مرجع سابق. ص ص 27-28.

1-3-2-2 العصور الوسطى عند العرب:

وتمتد هذه المرحلة من القرن السابع ميلادي حتى نهاية القرن الرابع عشر تقريبا، حيث بدأ الإسلام في الانتشار، وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالتكوين والازدهار، وقد تضمنت هذه الحضارة الأدب والأخلاق والفلسفة والمنطق، كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية.¹

ويعتبر ابن بطوطة (1304-1378) أشهر رحالة عربي في العصور الوسطى، فقد انطلق من موطنه من شمال إفريقيا في سلسلة من الأسفار إلى روسيا والصين والهند وسومطرة وكمبوديا ثم غرب إفريقيا شبه الصحراوية ومن ضمنها تمبكتو، وكان في مجمل ما قطعه من أسفاره خلال ثمانية وعشرون عاما... وتكشف رواية ابن بطوطة كثيرا من المعلومات عن الحكومات الإسلامية في زمانه، وكذلك تفصيلات من الممارسات الإسلامية والدينية والثقافية.²

كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتابات خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، بحيث برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكهم وقيمهم وتقاليدهم، فمما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان: "فمن أفعالهم قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسمح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب".³

بحيث يمكن القول أن ابن بطوطة يعتبر من بين علماء العرب الذين برزوا في الحقل الأنثروبولوجي، من خلال اعتماده على أداة الملاحظة المباشرة ووصف حياة الشعوب وتقاليدهم، بحيث نجد أنه سار على منهج علمي خلاف الفلاسفة والأنثروبولوجيين السابقين، وهو ما ميزه عنهم.

¹ - عيسى، الشماس. مرجع سابق. ص 29.

² - بيرتي، ج بيلتو. دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ. ترجمة: كاسم سعد الدين، بغداد: بيت الحكمة للنشر، 2010، ص 33-34.

³ - عيسى، الشماس. مرجع سابق. ص 30.

وكان في الوقت نفسه عالم عربي آخر وهو (عبد الرحمن ابن خلدون) قد أرسى قواعد المنهج لدراسة المجتمع، وطبيعة العمران البشري، ودورة الحضارات، وسبق في ذلك بقرون عديدة فلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع والأوروبيين، بحيث يرى بعض الكتاب العرب في ابن خلدون على أنه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع¹، كما حاول بخبرته الثرية في مختلف الحكومات الإسلامية إضافة إلى ملاحظاته وقراءاته الواسعة أن يؤسس (دراسة المجتمع البشري في أشكاله المختلفة كافة، وطبيعة خصائص كل شكل من هذه الأشكال، والقوانين التي تتحكم في تطوره)².

أما كتاب ابن خلدون "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" فقد شهرة كبيرة وواسعة بسبب مقدمته الرئيسية وعنوانها: "في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان، والكسب والمعاش والمصانع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب"، وتعتبر هذه المقدمة عملاً أصيلاً في تسجيل الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا، ولا سيما العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، إلى جانب بعض المحاولات النظرية لتفسير كل ما رآه من أنظمة اجتماعية مختلفة، وقد شكلت موضوعات هذه المقدمة - فيما بعد - اهتماماً رئيسياً في الدراسات الأنثروبولوجية.

ومن أهم الموضوعات التي تناولها ابن خلدون في مقدمته، والتي لها صلة باهتمامات الأنثروبولوجيا، تلك العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية، فقد رد ابن خلدون على اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية وصفاتهم الجسمية والخلقية، إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضاً عاملاً مهماً في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية، ويقول ابن خلدون: إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذا يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول، فعمر الدول عند ابن خلدون كعمر الكائن البشري، تبدأ بالولادة وتنمو إلى الشباب والنضج والكمال، ثم تكبر وتهرم وتتلاشى إلى الزوال.³

فالعالم العربي عبد الرحمن ابن خلدون قد استطاع الربط بين الملاحظة الميدانية المباشرة وخبرته في السياسة والإدارة الإسلامية، وبين الصياغة النظرية للقوانين التي تحكم تطور المجتمعات، كما تبرز القيمة الأكاديمية

¹ - حسين، فهميم. مرجع سابق. ص 64.

² - بيرتي، ج بيلتو. مرجع سابق. ص 34.

³ - الطاهر، غراز. مرجع سابق. ص 10.

والأنثروبولوجية للمقدمة كونها وثيقة أنثروبولوجية استطاع من خلالها رصد الحياة الاجتماعية لشعوب شمال إفريقيا متجاوزة بذلك السرد التاريخي التقليدي إلى تحليل العادات والتقاليد والعلاقات البينية.

فدراسة ابن خلدون استندت إلى منهج علمي وهو ما مكنه من صد الحقائق بطريقة دقيقة من خلال اعتماده على المعاشية لتلك القبائل وكذا تسجيل كل الأمور التي كانت تجرى في حياتهم، وهو ما مكنه من إعطائنا تفسيراً دقيقاً عن حالاتهم وحياتهم وترفهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما تكلم عن البداوة والحضارة وكيفية تأثير الحضارة والثراء على الفكرة التقليدية للإنسان البدائي.

كما تطرق لفكرة ديناميكية التغير الاجتماعي من خلال طرحه لفكرة أن أحوال العالم والمجتمعات ليست ثابتة، بل هي في تغير مستمر ويتحكم في ذلك عامل الزمان والمكان، بالإضافة لفكرة دورة حياة الدولة؛ بحيث شبه ابن خلدون عمر الدولة بالكائن البشري في نموه وفنائه، حيث رأى أن عمر الدولة يمر بمراحل (النشأة، الشباب، والنضج ثم الهرم والزوال)، وهو ما استنتجته من خلال التقلبات وأحوال المجتمع في ذلك الوقت خاصة في الجوانب السياسية وكيفية إدارة الحكم.

ولهذا نجد أن دراسات ابن خلدون لل عمران البشري لم تكن مجرد وصف لحياة مجتمع خلال فترة معينة، بل انتقلت إلى استنباط قوانين تحكم الدول، وهذا ما يوضح جليا الزخم المعرفي الذي احتوت عليه دراسات ابن خلدون والتي كانت ممهدة لظهور علم جديد سمي فيما بعد بعلم الاجتماع.

وقد برز العرب أيضا في إعداد المعاجم الجغرافية، كمعجم البلدان لـ (ياقوت الحموي)، وكذلك في إعداد موسوعات كبيرة بلغت ذروتها في القرن الرابع عشر ميلادي، مثل مسالك الأمصار لـ (إبن فضل الله العمري)، ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري، وقد اهتمت هذه الكتب عادة بشؤون العمران، كما تميزت مادتها بكونها تعتمد على المشاهدة والخبرة الشخصية، الأمر الذي جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية.¹

¹ - حسين، فهميم. مرجع سابق. ص55.

1-3-3- عصر النهضة الأوروبية:

يتفق المؤرخون على أن عصر النهضة في أوروبا بدأ في نهاية القرن الرابع عشر ميلادي، حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية، مترافقة بحركة ريادة نشطة للاستكشافات الجغرافية، وتبع ذلك الانتقال من المنهج الفلسفي إلى المنهج العلمي التجريبي، في دراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، والذي تبلور وتكامل في القرن السابع عشر¹، وقد سميت هذه المرحلة بعصر التنوير، نسبة لتطور العلوم في أوروبا، وذلك باعتمادهم على العلوم التي أخذوها من الحضارات العربية والإغريقية.

ففي هذا العصر ظهرت المدونات والكتابات الكثيرة في أدبيات الرحلات التي زحرت بمعلومات عن حياة الشعوب غير الأوروبية، وقد ساعد اكتشاف الطباعة في ألمانيا، ظهور أول كتاب مطبوع عام 1457م، على رواج تلك المؤلفات وشيوع ما بها من معلومات.²

ولعل أهم رحلة أو (رحلات) استكشافية مشهورة أثرت في علم الأنثروبولوجيا ما قام بها (كريستوف كولومبوس) إلى القارة الأمريكية ما بين (1492-1502) حيث زحرت مذكراته عن مشاهداته واحتكاكه بسكان العالم الجديد، بالكثير من المعلومات والمعارف عن أساليب حياة تلك الشعوب وعاداتها وتقاليدها، اتسمت بالموضوعية نتيجة المشاهدة المباشرة.³

وقد تكون محاولة الرحالة الإسباني (جوزيه أكوستا) في القرن السادس عشر لربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، المحاولة الأولى لتدوين المادة الإثنوغرافية والتنظير بشأنها، فقد افترض أكوستا أن الهنود الحر كانوا قد نزحوا أصلاً من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك، وقدم أيضاً افتراضاً آخر حول تطور الحضارة الإنسانية عبر مراحل معينة، معتمداً في تصنيفه على أساس معرفة الشعوب القراءة والكتابة.⁴

فعصر النهضة الأوروبية الذي تبلور في القرن الرابع عشر 14 لم يحدث قطيعة بينه وبين المعارف التي سبقته، بل تم الاعتماد على الانتقائية في المعارف السابقة من خلال إحياء العلوم الإغريقية والعربية، مما ساهم في تمهيد

¹ - عيسى، الشماس .مرجع سابق. ص33.

² - حسين، فهم .مرجع سابق. ص ص 80-81.

³ - الطاهر، غراز . مرجع سابق. ص 12.

⁴ - عيسى، الشماس .مرجع سابق. ص 36.

الطريق للانتقال من النهج الفلسفي التأملي إلى المنهج العلمي التجريبي، وقد وصل هذا المسار ذروته في القرن السابع عشر فيما بعد والذي عرف بعصر التنوير.

بالإضافة للاكتشافات الجغرافية التي كان لها دور هام في عصر النهضة الأوروبية من خلال تجربة كريستوف كولومبوس؛ التي لم تكن رحلاته لاستكشافا جغرافيا فحسب، بل كانت مصدرا لبيانات إثنوغرافية مبكرة حول سكان العالم الجديد، وتميزت أعماله بمحاولات موضوعية من خلال الاعتماد على المشاهدة المباشرة لعادات الشعوب وتقاليدها.

دون أن ننسى اسهامات خوسي دي أكوستا والذي يعد من الرواد الذين حاولوا تقديم تفسير نظري للاختلافات البشرية، بحيث افترض أن سكان الأمريكيتين تعود أصولهم لآسيا، وحالو بذلك تصنيف الحضارات الإنسانية بناء على تطورها الثقافي ومعرفتها بالكتابة.

فالنهضة الأوروبية كانت مزيجا من الاستيعاب المعرفي (للميراث العربي والإغريقي) والابتكار التقني (المطبعة) والانفتاح الميداني (الاستكشافات الجغرافية)، كل هذه العوامل ساهمت في إرساء منهج علمي حديث يدرس الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال الاستناد على التجربة والملاحظة المباشرة، والتي تعتبر اليوم من بين الأسس المنهجية في البحوث العلمية.

أما في ألمانيا فقد تبلور الفكر في عصر التنوير عن التفوق العنصري والنزعة القومية الشوفينية (التعصبية)، وظهر ذلك واضحا في كتابات جورج هيغل (1770-1831) وجوهان فخته (1762-1814)، حيث جعلوا الشعب الألماني الشعب الأمثل والأنقى بين الشعوب.¹

بالإضافة لظهور مؤلف آخر جوهان هيردر (1733-1803)، والذي أكد على تمايز السلالات وفقا ل: تركيبها البشرية، تأثيرها بمظاهر المدينة، رؤيتها لمقومات الحضارة، وقد قسم السلالات إلى نوعين: نوعية خلقت للرقى، وأخرى محكوم عليها بالتخلف والانحطاط.²

¹ - الطاهر، غراز. مرجع سابق. ص 14.

² - عبد العزيز محمد، خوجة. مرجع سابق. ص 31.

وتبعاً للفكر الألماني نجد أنه لم يقتصر تطور الفكر في عصر التنوير على العقلانية والمساواة، بل انخرط لدى بعض المفكرين من خلال التأكيد على فكرة التفوق العنصري، هذا التحول الذي أنتج ما يعرف بالشوفينية، والتي يركز فحواها على التعصب الأعمى للقومية والاعتقاد بأن شعباً ما أسمى من بقية الشعوب.

كما نجد ظهور عدد من المفكرين خلال هذه المرحلة وأبرزهم الفيلسوف هيغل ويوهان فبسته، باعتبار أن الفكر الفلسفي التاريخي لهيكل رأى فيه أن الروح المطلقة تتجسد في الدولة الألمانية في تلك المرحلة، مبرراً ذلك بفكرة الأفضلية القومية؛ أي الجنس أو النوع الأسمى والأرقى.

دون أن ننسى هردر الذي ركز على التنوع الثقافي بالإضافة لفكرة تمايز السلالات، بحيث يرى أن البشرية تم تقسيمها إلى نوعين؛ نوعية خلقت للرقى وهي السلالات التي تملك مقومات السيادة والتقدم، وهناك نوعية ثانية المحكوم عليها بالانحطاط والتخلف وتمثل في الشعوب التي اعتبر أنها تفتقر للمقومات الحضارية.

فالفلسفة الألمانية جاءت بفكرة تهدف لخدمة أغراض قومية بدلاً من أن يكون التنوير وسيلة لتحرير الإنسان كقيمة مطلقة، باعتبار أن هؤلاء الفلاسفة اهتموا بالتفوق العرقي والثقافي على الآخرين، محاولين بذلك إقصاء الشعوب الأخرى غير الألمانية والتي يرو أنها وجدت لكي تخدمهم.

وتبعاً لما سبق يتبين لنا أن عصر النهضة الأوروبية شهد تغيرات عديدة أسهمت في تطور الفكر الأنثروبولوجي، من خلال قيام العديد من الرحالة ككريستوف كولومبوس و جوزيه أكوستا باكتشاف الدول والمناطق، وهو ما ساعدهم في التعرف على عادات وتقاليد وأسلوب حياة الشعوب بالنسبة للدراسات الإثنوجرافية، وكذلك دراسة نظم الحياة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة ومقارنتها ومحاولة الوصول إلى قولنين تنظم حياة المجتمع والتي تصنف ضمن الدراسات الإثنولوجية، بالإضافة إلى ظهور بعض المؤلفين الألمان والذين تميزوا بالنزعة التعصبية، ورأوا في الشعب الألماني على أنه أسمى وأنقى الشعوب وأطلقوا عليه أنه شعب خلق للرقى، بينما الشعوب الأخرى رأوا أنها متخلفة ومنحطة وقالوا أن هذه الشعوب محكوم عليها بالتخلف والانحطاط، إلى جانب ظهور العديد من الأعمال لكتاب ومؤلفين آخرين كديمونتسكيوا.

1-3-4- القرن العشرين:

رغم النهضة الكبيرة التي عرفت أوروبا في القرن 18 و 19، إلا أن الحرب العالمية الأولى ونواتجها جعلت المفكرين ينقسمون إلى شقين: شق متشائم لما وصلت إليه البشرية يرى مستقبلها غامضاً وخيفاً، وقد تبلور في أعلى ذروته مع "الوجودية" التي انتشرت في فرنسا مع جون بول سارتر (1905-1980)، وشق آخر متفائل يرى مستقبل الإنسانية أكثر إشراقاً ناهض التوجهات الميتافيزيقية يمثلها الأمريكي جون ديوي (1859-1952) الذي يعتقد أن للإنسان الكثير من المؤهلات والقدرات التي تسمح له بالخروج من أزيمته، وفي نفس الوقت بدأ الفكر الديني يتفتح على الحوار والنقاش ويتخلى عن نزعته التسلطية، وفي ظل هذه التحولات نشأت الأنثروبولوجيا باعتبارها علماً مستقلاً بذاته، وقد مرت بمرحلتين:¹

1-3-4-1 مرحلة التأسيس النظري: ظهرت خلال هذه الفترة العديد من الدراسات الأنثروبولوجية الدقيقة والتي أسست لهذا العلم، فأعمال هذه المرحلة كانت أكاديمية ولكنها تفتقر إلى الملاحظة بالمشاركة، ويمثلها كل من:

أ- إدوارد برنت تايلور (1832-1917): الإنجليزي وهو أول من عين أستاذا للأنثروبولوجيا في العصر الحديث، وكان ذلك في جامعة أوكسفورد عام 1884، من أعماله أبحاث التاريخ القديم للجنس البشري 1885، الحضارة البدائية 1871.

ب- ماكليان (1827-1881): الإنجليزي وأعماله عن الزواج البدائي عام 1865.

ج- جيمس فرايزر الأسكتلندي (1854-1941): ولأعماله حول الأساطير في كتابه الغصن الذهبي، والذي عين أستاذا بجامعة لندن عام 1908.

يتبين لنا من خلال مرحلة التأسيس النظري أن هذه الأعمال اتسمت بالوصف والتخيل فقط، ولم تتميز بالملاحظة بالمشاركة وكذا معايشة المجتمع المدروس، فقد كانت عبارة عن أعمال نظرية مستندة على أعمال سابقة وهذا ما تعاب عليه.

¹ - عبد العزيز محمد، خواجه. مرجع سابق. ص ص 33-34.

1-3-4-2 مرحلة العمل الميداني: في هذه المرحلة أصبح العمل الميداني جزءاً من عمل الباحث الأنثروبولوجي، ومن أهم الرواد الأوائل نذكر:¹

أ- برانسلاو مالينوفسكي: (1884-1942) البولوني، عين أستاذا بجامعة لندن، وكانت أعماله الميدانية عن سكان جزر التوبرياندا (مدة أربع سنوات) بميلانيزيا بجوار أستراليا، ومن مؤلفاته: مغامرات المحيط الهادي الغربي 1922، الحياة الجنسية للمجتمعات في شمال غربي ميلانيزيا 1929.

ب- هادون: (1855-1940): عين أستاذا بجامعة كامبردج عام 1900، دارت أعماله الميدانية حول منطقة مضائق (توريس) مع إحدى البعثات العلمية.

ج- راد كليف براون: (1881-1955) أستاذ بجامعة أوكسفورد، وتمت أبرز أعماله الميدانية عن السكان الأصليين لأستراليا (الأبوريجان) وسكان خليج البنغال، من مؤلفاته: سكان جزر الأندمان 1922، البناء والوظيفة في المجتمع البدائي 1942، المنهج في الأنثروبولوجيا 1958.

إلى جانب هؤلاء الرواد ظهوروا علماء معاصرين في ميدان الأنثروبولوجيا مثل : روث بندكت (1887-1948)، ابراهام كاردينار (1891-1981)، وكذا مارغريت ميد (1887-1971).

وتبعاً لما سبق يمكن القول أن مرحلة العمل الميداني تعتبر من أبرز المخططات في مسار الأنثروبولوجيا، بحيث أن العمل ارتكز على الميدان، عكس المرحلة الأولى التي كانت البحوث نظرية تتسم بالوصف والتخيل، وهو ما ساهم في قيام الأنثروبولوجيا كعلم مستقل له منهجه وأدواته وكذا رواده بالإضافة لأهم أفكاره ومصطلحاته.

¹ - عبد العزيز محمد، خواجه. المرجع السابق. ص 36.

2 : التعريف بالأنثروبولوجيا الجنائية ومجالاتها

1-2 مفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية:

1-1-2: مفهوم الأنثروبولوجيا:

يقصد بكلمة الأنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY علم الإنسان، وتعني دراسة أفعال ونشاطات الإنسان، كما ترجع هذه الكلمة إلى الأصل اليوناني المكون من مقطعين، Anthropos أي الإنسان، و Logos أي الدراسة أو العلم، ومنه فالأنثروبولوجيا هي دراسة الإنسان أو علم الإنسان.¹

كما تعرف الأنثروبولوجيا على أنها علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا...، وتتكون الأنثروبولوجيا المعاصرة من وجهة النظر البريطانية من الأنثروبولوجيا الطبيعية والاجتماعية التي تضم الأنثروبولوجيا الحضارية كفرع من فروعها، والأنثروبولوجيا التطبيقية والإثنولوجيا، هذا إضافة إلى أنها تضم علومًا أخرى مثل علم اللغات والإثنوغرافيا.²

وكخلاصة حول تعريف الأنثروبولوجيا يمكن القول أنها تدرس الإنسان وأفعاله سواء في الماضي أو الحاضر، أفراد أو جماعات، كما تحاول تبيان الفرق بين الحياة الماضية والحياة الحالية للشعوب من خلال المقارنة بينهم، طبعًا وتبحث في أصل العادات والتقاليد واللغات ومختلف الأمور التي تتعلق بالإنسان ومحيطه الذي يعيش فيه.

¹ - فاروق مصطفى، اسماعيل. الأنثروبولوجيا الثقافية. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980، ص 11.

² - شاكر مصطفى، سليم. قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي-عربي. جامعة الكويت، 1981، ص 56.

2-1-2 : مفهوم الجريمة:

عادة ما يعرف القانون الجزائي في أي مجتمع الجريمة بأنها فعل مقصود يخرق القانون الجزائي، ويرتكب دون مبرر وتعاقب عليه الدولة، ويرى عالم الأنثروبولوجيا بول تابان Paul Tappan أن التعريف القانوني هو الأسهل وعليه الإجماع أكثر، وبالتالي فالمصدر هو الذي يتفقون / يجتمعون الناس عليه، أي على ما هو خطأ وصواب يكتبونه في شكل قانون وهذا باختصار فحوى نظرية الإتفاق لتطور القوانين، ويشير تابان بأن المجرم الذي يجب دراسته هو فقط من تم الحكم عليه Convicted.¹

وتبعاً للتعريف سالف الذكر يمكن القول أن الجريمة هي كل فعل يحدث ضرر مادي أو معنوي بالأفراد والمجتمعات، قرر له القانون عقوبة أو تدبير احترازي.

3-1-2: الأنثروبولوجيا الجنائية: Criminal Anthropology

تعرف الأنثروبولوجيا الجنائية بأنها علم طبائع المجرم، ومضمون هذا العلم يتمثل في دراسة المظاهر العضوية والنفسية للمجرمين سواء ما تعلق بخصائصهم البدنية الظاهرة أو بأجهزة جسمهم الداخلية، غرائزهم، عواطفهم، وعلاقة هذه المظاهر بخصائص الجريمة، وتعرف أيضاً على أنها تكوين الفرد المجرم من جميع النواحي البيولوجية، النفسية، وتأثير تكوين الشخصية بالبيئة المحيطة به، لتقدم لنا الأسباب الدافعة للجريمة من وجهة النظر الفردية.²

كما يهتم المتخصص في هذا العلم بالطرق المختلفة لتحديد هوية الأشخاص، سواء كانوا أحياء أو أموات، مكتملي الأجساد أو أشلاء أو عظام، ومحاولة تحديد أسباب الوفاة، وهناك من الوسائل المختلفة التي ابتكرها الأنثروبولوجيون لتحديد الجنس والعصر والعنصر من الهيكل العظمي أو بقاياه، كما يهتم الباحث في هذا المجال بطرق وإعادة بناء ملامح الوجه للجمجمة وتقدير ارتفاع القامة وقت الحياة، كما يستخدم فصول الدم المختلفة والبصمة الجينية لتحديد الهوية والعلاقات الأنثروبولوجية.³

¹ - عايد عواد، الوريكات. نظريات علم الجريمة. الأردن: دار وائل للنشر، 2013، ص 27.

² - رزيقة، زراق. جهيدة، زرزوقي. "قراءات في الأنثروبولوجيا الجنائية". مجلة الأنثروبولوجيا، المجلد 06، 02 (2020)، ص 121.

³ - سعاد، علي شعبان. الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا. جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2004، ص 09.

تعرف الأنثروبولوجيا الجنائية على أنها فرع من فروع الأنثروبولوجيا العامة، تدرس المقاييس البدنية والصفات الطبيعية للأفراد المدانين بارتكاب الجرائم، لتقرير علاقة تلك المقاييس والصفات بالإجرام، ومؤسس هذا الفرع هو لومبروزو Lombroso، ولكن نظريته أهملت بعد توسع الدراسات الأنثروبولوجية وظهرت نظريات أكثر دقة وصحة فاستحوذت في الآونة الأخيرة على اهتمام بعض الأنثروبولوجيين.¹

ورغم كثرة التعريفات الخاصة بالأنثروبولوجيا الجنائية إلا أننا نجد أنها تتفق في دراسة الفرد المجرم من خلال البحث عن الأسباب التي تؤدي به إلى الإجرام، لذلك يعتبر لومبروزو من بين العلماء الأوائل الذين ساهموا في نشأة وظهور الأنثروبولوجيا الجنائية، بحيث ركز على الجانب العضوي والمسات التي بناءً عليها يمكن معرفة الشخص إن كان مجرماً أم لا، ولكن هذا العلم تطور على يدي العديد من العلماء بحيث لم يقتصر التفسير على الجانب العضوي فقط، بل تعدى ذلك إلى الجانب النفسي من خلال التركيز على شخصية الفرد وعلاقتها بالإجرام، وكذا البيئة المحيطة بالفرد وأثرها على جنوحه.

كما أن هذا العلم لا يبحث في الأسباب المادية للإجرام فقط، بل يبحث كذلك في أسباب الوفاة وكذا البصمات ومسرح الجريمة، وكيفية تحديد عمر الضحية وكذا جنسها وسنها في حال ما إذا وجدت الرفات محروقة أو مشوهة.

¹ - شاكراً مصطفى، سليم. قاموس الأنثروبولوجيا إنجليزي-عربي. مرجع سابق ص 218.

2-2: مجالات الأنثروبولوجيا الجنائية

تختلف وتتعدد مجالات وأفاق البحث في الأنثروبولوجيا الجنائية، باعتبار أنها تبحث عن أسباب أو الدوافع المؤدية لإرتكاب الفعل الإجرامي، وكذا أسباب الوفاة والبحث في البقايا والمخلفات الخاصة بالضحية بهدف كشف ملابسات أو حيثيات الواقعة الإجرامية.

1-2-2 : تحديد الهوية:

فالجثث المجهولة تعتبر واحدة من كبريات المعضلات التي تواجه المحققين الجنائيين؛ حيث يتوجب عليهم تحديد هوية أصحاب هذه الجثث ومعرفة سبب الوفاة، ومتى حدثت وغيرها من أسئلة التحقيق، وتزداد صعوبة الإجابة عن هذه الأسئلة في حال كون الرفات الذي عثر عليه قد تعرض إلى تشوه شديد يخفي المعالم التي تمكن المحققين من التعرف المباشر على هوية صاحب الجثة.¹

بحيث يعتبر علم الأنثروبولوجيا الجنائية من العلوم الحديثة التي سخرت علم الأنثروبولوجيا وعلم التشريح والطب الشرعي وعلم الأحافير وغيرها من العلوم ذات العلاقة؛ لتمكين المختصين من التعرف على هوية صاحب الرفات المجهول، خاصة ذلك المرتبط بنشاط إجرامي محتمل، خاصة في حال وجود إبادة أو مقابر جماعية، بحيث يعكف المختصون في هذا المجال من خلال فحصهم ودراستهم لبقايا العظام الموجودة على تحديد عمر وسن الرفات، جنسه، طوله، الأصول العرقية والجغرافية له، وأي علامات تشير إلى إصابات أو أمراض قبل الموت أو في ساعة الموت، اعتماداً على الخصائص الهيكلية.²

فالأنثروبولوجيا الجنائية لها دور كبير في التعرف على الرفات خاصة إن كانت مشوهة، وهو ما يستدعي تداعيل العديد من العلوم بهدف المساعدة على الكشف عن هوية الضحية، سواء ما تعلق بعلم التشريح والطب الشرعي، والذي من خلاله يستطيع المحقق الجنائي معرفة طبيعة وسبب الوفاة، بالإضافة لعلم الإجرام بهدف تحديد هوية المجرم أو الفعل الذي ساهم في ارتكاب الجريمة، وكذلك علم الأحافير والذي يساعد المحققين الجنائيين في التعرف على الرفات خاصة تلك التي قتلت وتم ردمها خاصة في حال وجود مقابر جماعية أو قبر مجهول، وهو ما يستدعي تدخل علم الأحافير بهدف تحديد الهوية.

¹ - ماجد، بن عايد الرويثي. "الأنثروبولوجيا الجنائية ودور الحمض النووي فيها". مجلة أوراق السياسة الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد 01، (2020)، ص 03.

² - نفس المرجع السابق، ص 03.

ففي حال وجود جثة أو رفات لشخص ميت يكون الأنثروبولوجيون الجنائيون مطالبون بتحديد هوية هذه الجثة، وكذا معرفة سبب الوفاة، وهو ما يجعل الأحصائيين الجنائيين أو المحققين يكتفون من تحقيقاتهم بهدف الكشف عن سبب الوفاة، لذلك يلجأ المحققون الجنائيون لبعض المختصين في عدة علوم على غرار علم التشريح، الطب الشرعي، علم الأحافير، علم بصمات الجلد، علم الضحية، بهدف معرفة طبيعة الوفاة (وفاة عادية / انتحار/ فعل إجرامي)، وكذا البحث عن المجرم أو الجاني إذا ثبت أن سبب الوفاة تمثل في جريمة قتل.

2-2-2 دراسة الهيكل العظمي:

"يعود تاريخ الاهتمام بدراسة الهياكل العظمية إلى هيروودوت العالم الإغريقي الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، فقد كان أول من بين أهمية تأثير المناخ على المورفولوجيا الإنسانية، وأن الاختلافات بين الجماعات الإنسانية ترجع إلى عوامل المناخ في البيئات الطبيعية المختلفة، كما ظهر علم تشريح العظام في الولايات المتحدة الأمريكية على يد صامويل مورتن Samuel Morton بحيث نشر كتابه الجمجمة الأمريكية سنة 1839، والذي اعتمد فيه على دراسة مقارنة في التشريح والعلاقات البيولوجية لآلاف من الهياكل العظمية لسكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر، وكان جل اهتمامه ينحصر في التعرف على تاريخ سلالة الهنود الحمر من خلال دراسة بقاياهم العظمية".¹

"وقد أكمل علماء التشريح والأنثروبولوجيا العضوية دراسات مورتن، ونذكر منهم جوزيف ليدي Joseph Leidy و أيتكن ميغر J. Aitken Meigs في كتابتهما عن مميزات وأهمية الجماجم البشرية ودراسة السلالات الإنسانية، وأكثر علماء التشريح والأنثروبولوجيا العضوية شهرة العالم الأمريكي التشيكوسلوفاكي الأصلي أليس هردلشكا Ales Hrdicka الذي نشر ما يزيد عن ثلاثمائة مقالة وبحث علمي عاجل فيها مشكلات أنثروبولوجية وتشريحية مختلفة في السلالات وعلم القياس والأمراض والتطور الإنساني".²

¹ - محمد، يوسف النجار. رينشارد، ماكولبامز. العظام في الدراسات الأنثروبولوجية والطبية والجنائية. تر: محمد يوسف النجار. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989، ص 10.

² - محمد، يوسف النجار. رينشارد، ماكولبامز. نفس المرجع السابق. ص 11.

فالإهتمام بدراسة الهيكل العظمي يعد من مجالات اهتمام الأنثروبولوجيا الجنائية، فقد كان الإهتمام منذ العصر الإغريقي، وهو ما يبين أن هناك العديد من العلماء السابقين لهذا المجال، يهتم الأنثروبولوجيين الجنائيين بتشريح العظام والهيكل العظمية بهدف معرفة أصحابها وكذا الجوانب العرقية والجغرافية لهم، كما يساعد في معرفة طولهم وجنسهم.

2-3: علاقة الأنثروبولوجيا الجنائية بالعلوم الأخرى

من المسلم به أن الأنثروبولوجيا الجنائية تهتم بدراسة أسباب وقوع الأفعال الإجرامية وكذا الصفات التي يتميز بها المجرمون، بالإضافة للبحث في الضحية من خلال معرفة أسباب الوفاة وطبيعتها، بالإضافة لمحاولة معرفة أصحاب الرفاة وكذا الهياكل العظمية، وكل هذا البحث لا يتم إلا من خلال اللجوء لعلوم أخرى تكون مكملتها لها بهدف تحقيق هدفها، لهذا سنحاول في هذه المحاضرة التطرق للأنثروبولوجيا الجنائية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

2-3-1: علم الضحية:

"عرف مصطلح علم الضحية سنة 1947 من قبل بنيامين مندلسون ، بحيث يشتق من المصطلح اللاتيني victim بمعنى الضحية، والمصطلح اليوناني Logos بمعنى علم، بحيث يشير هذا العلم إلى الضحايا المتضررين بصفة عامة وصحية الجريمة Crime Victim، وهو شخص أصيب جسدياً أو مادياً أو عاطفياً و/أو أخذ ممتلكاته وتضررت من قبل شخص ارتكب الجريمة، كما أنه مجال علمي أكاديمي يدرس البيانات التي تصف الظواهر والعلاقات السببية المتعلقة بالضحايا، وهذا يشمل الأحداث التي تؤدي إلى الإيذاء وتجربة الضحية وتداعياتها والإجراءات التي اتخذها المجتمع رداً على هذه الإصابات".¹

وتبعاً لتعريف علم الضحية نجد أن هناك علاقة تكاملية بينه وبين الأنثروبولوجيا الجنائية، فهو يساعدها على معرفة الضحية وطبيعة الفعل أو الجرم الذي مورس عليه، بالإضافة لتبيان علاقة الضحية بالجاني، ومحاولة تحديد أسباب ارتكاب الفعل الإجرامي، ويعتبر لومبروزو من بين العلماء الذين كان لهم مؤلفات في علم الضحايا، لذلك نجد أن هناك تداخل خاصة وأن رائد المدرسة البيولوجية لومبروزو يعتبر من بين العلماء السابقين لتأسيس علم الأنثروبولوجيا الجنائية (علم طبائع المجرم)، كما أن الأنثروبولوجيا الجنائية تتشابه مع علم الضحايا من خلال البحث والتحري بعد وقوع الجريمة، باعتبارهم يبحثان عن الأسباب الدافعة لارتكاب الفعل الإجرامي.

¹ - محمد فوزي، قميدي. "علم الضحية وإسهاماته في الحقل الجنائي". مجلة متون، المجلد 9، العدد 4، (2018)، ص ص 33-34.

2-3-2: علم الإجرام:

"يعتبر علم الإجرام فرعاً من فروع العلوم الجنائية والذي يسعى لتفسير الظاهرة الإجرامية باعتبارها ظاهرة حتمية في المجتمع، وظاهرة اجتماعية في حياة الفرد، لتحديد وتفسير الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ارتكابها على مستوى الفرد والجماعة".¹

وباعتبار أن الأنثروبولوجيا الجنائية كعلم يبحث في طبائع المجرم وكذا سيرته الذاتية، بالإضافة للمظاهر العضوية والنفسية للمجرمين، فهو كذلك يسعى للبحث عن الأسباب الدافعة لارتكاب الفعل الإجرامي وكذا العوامل المساعدة في ذلك، سواء كانت اجتماعية، نفسية، اقتصادية... إلخ، وهنا يظهر التداخل بين الأنثروبولوجيا الجنائية وعلم الإجرام في الحقل الجريمة، فكلاهما يساعدان المحققين الجنائيين في الوصول إلى نتيجة خاصة بأسباب ودوافع ارتكاب الفعل الإجرامي.

2-3-3 علم الآثار والحفريات.

"إن استخراج العظام في العادة مسؤولية عالم الآثار أو رجل الشرطة، وباعتبار أن هناك طرق عديدة لاستخراجها، إلا أنه من الأفضل أن تتم بواسطة الباحث الأثري الأنثروبولوجي، حيث أن المعرفة بالتقنيات المطلوبة في العمليات الحفرية متوفرة لديه، والطريقة المثلى تتم أيضاً باستدعاء المتخصص في علم البشريات الصغرى للإشراف على استخراج البقايا العظمية التي يتم الكشف عنها من قبل عالم الحفريات أو رجال الشرطة".²

والأنثروبولوجيا الجنائية من بين العلوم التي تهتم بدراسة الرفات سواء كانت العظام كاملة أو منفصلة، محروقة أم مدفونة، لذلك فالمحققين الجنائيين يستعينون بعلم الحفريات وكذا علماء الآثار بهدف استخراج العظام وكذا الهياكل الآدمية بهدف تشريحها ومحاولة معرفة أصحابها، سواء كانت مقابر جماعية أو قبر مجهول، ومن خلال العظام يستطيع الخبراء الجنائيين معرفة هوية صاحبها، الجنس، السن... إلخ، فكل من علم الحفريات وكذا علم تشريح العظام يساعدان المحققين الجنائيين في معرفة أصحاب الرفات بهدف تحديد طبيعة الوفاة وكذا وقت الوفاة.

¹ - محمد نصر محمد. علم الإجرام. عمان: دار الراجحة للنشر والتوزيع، 2012، ص13.

² - محمد يوسف، النجار. ريتشارد ماكوليامز. مرجع سابق، ص 15.

2-3-4: علم الوراثة الجنائية: Anthropological Genetics

يرتبط علم الوراثة الأنثروبولوجية بعلم الأنثروبولوجيا السكانية، حيث يرى الأنثروبولوجيون الفيزيقيون أنه لا يمكن فهم أو قياس التطور إلا على المستوى السكاني، فالباحث في هذا المجال يركز في دراسته على العلاقات الوثيقة بين التكوين السكاني وتوزيع الجينات (الموروثات) واستقائها بين الجماعة الإنسانية، وبالتالي فهو يرى أن الياراميترات الديموغرافية من معدلات الخصوبة والوفاة والمرض والهجرة... إلخ ماهي إلا عوامل مهمة في دراسة الوراثة السكانية.¹

فعلم الوراثة الجنائية يساعد المحققين والخبراء الأنثروبولوجيين في معرفة سبب الوفاة، خاصة في حال أن الجثة كانت تعاني من مرض وراثي، بالإضافة لطبيعة البيئة والتي قد تنعكس على صحة أفرادها وهو ما نشاهده اليوم في بعض المناطق التي تم تجريب القنابل النووية عليها، مما قد تساعد جينات الآباء في نقل تلك الأوبئة والأمراض للأبناء، ناهيك عن عامل الهجرة وأثره على صحة الأفراد والمجتمعات من خلال نقل العدوى من قبل بعض الأفراد الأجانب، فعلم الوراثة الجنائية يساعد الأنثروبولوجيين الجنائيين في الكشف عن سبب الوفاة خاصة إذا كان الأمر متعلق بوباء أو فيروس أو وراثية ما.

2-3-5: علم بصمات الجلد: Dermatoglyphics

يتركز على استخدام خطوط واضحة تظهر على سطح اليد والقدم وخاصة ما يظهر منها على سطح السلامة من أصابع اليدين، ولهذه الخطوط أنماط معينة من الإنحناءات الكاملة وغير الكاملة (نصفية)، بحيث تم تصنيفها إلى عدة أنواع، لكل نوع منها خصائصه المميزة من حيث الشكل وعلاقة الخطوط بعضها ببعض الآخر، ولا شك أن للبصمات أساس وراثي قوي، مما يجعلها ذات قيمة عالية في مجال الأدلة الجنائية وحقل التعرف على مجهولي الهوية والمفقودين وضحايا الكوارث، هذا إضافة إلى أن بصمات الجلد قد تعكس بعض الأمراض وخاصة فيما يتعلق بالإضطرابات والعيوب في المادة الوراثية.²

¹ - سعاد، علي شعبان. مرجع سابق. ص ص 7-8.

² - سعاد، علي شعبان. نفس المرجع السابق. ص 10.

فالبصمة لها دور مهم في تحديد هوية الضحية أو الجاني، باعتبار أن كل شخص له بصمة تميزه عن غيره، أي أنه لا يمكن إيجاد تشابه بين بصمات بني البشر، كما تختلف بين الخطوط التي تظهر على سطح اليد وكذا الأصابع، دون أن ننسى بصمة القدم وكذا بصمة العين.

فعلم البصمات من بين أهم العلوم التي تستعين به الأنثروبولوجيا الجنائية في تحليل وفك لغز الجريمة، ويبدأ ذلك من خلال أول عملية التي تتمثل في جمع الأدلة والقرائن العلمية من مسرح الجريمة من طرف الشرطة العلمية، ليتم بعدها تحويها للمعاهد الجنائية بهدف فحصها ومعرفة إن كانت هناك أي بصمات أو قرائن موجودة على الأدلة التي تم أخذها من مسرح الجريمة.

2-3-6 علاقة الأنثروبولوجيا بالطب الشرعي.

ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما حدث في يونيو/حزيران 2024، عندما انتشرت أنباء عبر وسائل الإعلام مفادها أن أكثر من 200 جثة مجهولة الهوية في غواياكيل مخزنة في حاويات تالفة، تم دفن هؤلاء الأفراد الذين ماتوا بعنف على ما يبدو، بعد عشرة أيام من قرار الخدمة الوطنية للطب الشرعي وعلوم الطب الشرعي بفتح حاوية مليئة بالجثث وأجزاء الجسم وبقايا الهياكل العظمية، بعد أن ظلوا بدون تبريد لأكثر من 20 يومًا في ظل درجات الحرارة المرتفعة التي شهدتها غواياكيل، حذر أطباء الطب الشرعي من خطر محتمل على الصحة العامة بسبب الوضع في مشرحة المدينة.¹

فالطب الشرعي له أهمية بالغة باعتبار أنه يساعد المحققين الجنائيين في الوصول إلى الجثث سواء كانت كاملة أو نصف أو أشلاء أو حتى عظام، فالخبرة الجنائية تمكن المحققين الجنائيين من معرفة لمن تعود أصول تلك الجثث، ناهيك عن معرفة أسباب وفاة الفرد، خاصة إذا كان الأمر راجع إلى أوبئة أو أمراض معينة وهو ما قد يعجل بمعرفة مكونات الأوبئة والقضاء عليها.

¹ - Antony Cevallos. From Bones to Identification: Addressing the Current Gaps and Challenges in Ecuadorian Forensic Anthropology. *Forensic Sciences journal*. 6(1), 2026, p 05.

<https://www.researchgate.net/publication/400090914>

2-3-7 تحليل العظام والرفات

في بعض الحالات في المقابر الجماعية المشتركة، كما حدث خلال جائحة كوفيد-19، وفي بعض الحالات التي شملت ضحايا زلزال عام 2016. إن هذه الظروف، الناجمة عن عوامل مثل الطاقة الزائدة لمرافق تخزين المشرحة، والأهم من ذلك، الأعطال الكهربائية أو المعدات التي تسرع عملية التحلل، تتطلب بشكل عاجل مشاركة علماء أنثروبولوجيا الطب الشرعي. يمكن لهؤلاء الخبراء المساعدة ليس فقط في التعرف على الرفات البشرية ولكن أيضاً في عمليات النقع والهيكلة العظمي، وكذلك في جمع الأنسجة والممتلكات الشخصية للأفراد، بحيث يمكن في مرحلة ما استخراج هذه الرفات وربما التعرف عليها، وتؤكد هذه الأزمات المتداخلة على الحاجة الملحة إلى اتباع نهج سياسي متكامل يجمع بين الأمن العام وإدارة الكوارث واستراتيجيات الصحة العامة لمعالجة تحديات الوفيات والطب الشرعي في الإكوادور بشكل فعال.¹

فالأنثروبولوجيا الجنائية باعتبار أنها تبحث في الجريمة والجرم والضحية، لذلك تتعدى علاقتها لعلم تحليل العظام والرفات، ويظهر ذلك من خلال أول عمل في وجود رفات لشخص مقتول، لهذا يتدخل المحقق الجنائي بهدف معاينة مسرح الجريمة من خلال وضع شريط الإحاطة بهدف منع المتطفلين من تدنيس مسرح الجريمة، كذلك الحال بالنسبة لوجود عظام لأشخاص (سواء قبور منسية، ضحايا حروب وفيضانات، ضحايا أوبئة وأمراض...)، فهذا الأخير يمكن المحقق الجنائي من معرفة لمن تعود العظام أي هل هي بقايا آدمية أم بقايا حيوانات، بالإضافة لتحديد عمر وجنس الضحية وحتى سبب الوفاة، كل هذه الأمور تساعد الأنثروبولوجيا الجنائية في تحليل لعز الجريمة.

¹ - Antony Cevallos. Ibid, p05.

المحور الثاني:

التكوين البيولوجي للفرد المجرم

المحور الثاني: التكوين البيولوجي للفرد المجرم

اختلفت وتعددت التفسيرات الخاصة بالأسباب الدافعة للسلوك الإجرامي، فهناك من ربطها بأرواح شريرة تسكن جسد الإنسان، وهنا من أرجعها لقوى خارقة، وهناك من يرى أنه كخلل في الجانب البيولوجي للفرد، وسنحاول في هذه المحاضرة التطرق للنظريات البيولوجية التي سبقت لومبروزو في تفسير الدوافع وراء ارتكاب السلوك الإجرامي.

1- النظريات البيولوجية الجنائية قبل لومبروزو:

1-1 أهم الدراسات البيولوجية الجنائية:

1-1 الدراسات العضوية البيولوجية: يعد "جوزيف جول" من رواد المدرسة البيولوجية الذي انطلق من فرضية أن المخ يتأثر بالشكل الداخلي للجمجمة، واعتقد أن شكل الجمجمة يساعد في تفسير الجريمة من منطلق أن السلوك يصدر عن العقل، وأي خلل في العقل ينعكس على سلوك الفرد ويدفعه لارتكاب الجريمة.¹

رغم الاختلاف مع بعض التوجهات وجب التذكير على أن هذه المحاولات التي سبقت لومبروزو لم تكن عابثة كلها، بل من الإنصاف وصفها بالمرحلة التي ساهمت في ظهور مدرسة لومبروزو وأفكاره، بحيث سنحاول تسليط الضوء على بعض النماذج التي تزامنت مع عصر النهضة في أوروبا:²

1-1-1 الفراسة الجنائية: يقصد بالفراسة الجنائية الإشتباه في شخص معين ومن ثم اتهامه بناء على صفاته الجثمانية، وشكلها العام، وخاصة سمات الوجه والرأس، وقد ثبت أن بعض قضاة العصور الوسطى في أوروبا إذا افتقروا إلى الدليل القاطع كانوا يعتبرون المتهم الأقبح وجهاً، أو الأقل وسامة من بين المتهمين الأقرب إلى ارتكاب الجريمة، ومع بداية القرن السابع عشر بدأ علم الفراسة physiognomy يبرز في حلة جديدة بقيادة **ديلابورتا** و **لافاتير** و **دي لاشامبر** وغيرهم، حيث تم التأكيد على علاقة شكل جسم المجرم وصفاته ووجهه ورأسه بسلوكه العام، وسلوكه الإجرامي على وجه التحديد، إلا أن تلك المحاولات لم تصنف فقها على أنها علم منهجي، مثل محاولات فراسة الدماغ الذي أسسه **فرنسيس جوزيف جال** (1758-1828).

¹ - بسام محمد، أبوعليان. الإنحراف الاجتماعي والجريمة. جامعة الأقصى: منشورات إي-كتب، 2016، ص 35.

² - محمد نصر محمد. علم الإجرام. مرجع سابق، ص 83-84.

ففي العصور الوسطى كان القضاة يحكمون على الأقباح وجها بأنه هو المذنب إذا لم يكن لديهم دليل، وهذا ما يعكس الوصمة الجمالية، التي كانت تعتبر القبح دليلا على فساد الروح، وهو ما يعد مخالفا للمنطق، ولكن بظهور دراسات أخرى خاصة مع ديلابورتا ولافاتير تحول الأمر من مجرد انطباعات إلى محاولة لوضع قواعد تربط بين ملامح الوجه (شكل الأنف، ضيق الجبهة، جحوظ العينين)، وهو ما مهد لظهور دراسات جديدة تهتم أكثر بشكل الجاني عوض التركيز على جمال الفرد من عدمه فقط.

1-1-2 دراسة الجمجمة: **Cranology**: ركزت هذه الدراسات على علاقة السلوك الإنساني

بالجمجمة SKULL، على اعتبار أن شكل الجمجمة يعبر عما بداخلها (الدماغ)، وأن عدم استواء وبروز الجمجمة غير طبيعي Unusual Cranial Protuberance أو شكل الجمجمة غير طبيعي ناتج عن اختلال في الدماغ، وبالتالي فإن أصحاب هذه الأشكال من الجماجم لن يكون سويا.¹

بحيث تم من خلال هذا الطرح ربط الإجرام بشكل الجمجمة سواء من خلال استوائها أو شكلها.

1-1-3 دراسة الوجه: تعمقت هذه الدراسات بشكل ما بشكل ملامح الوجه، من عينين وأذنين وأنف،

وتجاويد في الوجه، وتركيب الفكين والأسنان ومدى تناسب بين هذه الأجزاء وحجمها.

1-1-4 دراسة الشعر: كثافة الشعر وتوزيعه على مناطق الجسم، وعلى الرأس تحدد سمات معينة وتنبئ بنوع

من السلوك حسب رأي أصحاب هذه المحاولات.

1-1-5 دراسة الحساسية والشعور بالألم: تهتم هذه الدراسة بقياس تأثير الإنسان بالمؤثرات المادية

الخارجية، مثل وخز الإبر، أو القطع، أو التيار الكهربائي، ومدى إحساسه بالصبر وتألمه أو بلادته وعدم إحساسه.

ومن خلال ما سبق نرى أن التوجهات التقليدية للأنثروبولوجيا الجنائية حاولت ربط السلوك الإجرامي بالخصائص العضوية؛ بحيث تبنت هذه الدراسات فكرة الحتمية البيولوجية، كما افترضت أن شكل الجمجمة وتواءها يعكس طبيعة الدماغ والميول النفسية، بينما تبحث دراسة ملامح الوجه وتوزيع الشعر عن تمييز المجرمين، كما تم الربط بين البلادة الحسية وعدم التأثر بالألم وبين القسوة والنزعة الإجرامية، وهو ما حاول التمهيد لدراسات أكثر جدية.

¹ - محمد نصر محمد. مرجع سابق، ص ص 84-85.

1-2 أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية:

1-2-1 النظرية الفيرنولوجية: Phrenological Theory

منذ منتصف القرن الثامن عشر حاول ثلاثة من الأطباء هم جال yall وسبيرزهام Sperzheim و جالدويل Yaldwell أن يثبتوا وجود علاقة بين الشكل الخارجي للجمجمة وبين سلوك الإنسان، بحيث تركزت نظريتهم على ثلاث مسلمات:¹

- أن الشكل الخارجي للجمجمة يتطابق مع شكلها الداخلي وهو بدوره يحكم شكل المخ.
- أن المخ يحوي العقل الذي يتكون بدوره من مجموعة من الامكانيات والوظائف.
- أن هذه الإمكانيات العقلية تتأثر بشكل الجمجمة الخارجي طالما أن العقل بأكمله في المخ يتأثر بشكل الجمجمة الداخلي.

ومن خلال هذه النظرية تبين لنا أن روادها حاولوا إثبات العلاقة بين شكل الجمجمة وكذا السلوك الإجرامي، بحيث أن عدم تطابق الشكل الداخلي مع الخارجي للجمجمة يؤثر على المخ ويساعد بدوره في ارتكاب الفعل الإجرامي.

1-2-2 الدراسات النفسية البيولوجية:

يرى (جيمس ولانج) أن ردود الفعل الإنفعالية كالغضب والتوتر تعمل على توعية الأعصاب أو الغدد الصماء، لذلك فإن أي عنف ينتج عنه تغير في دقات القلب والدورة الدموية، وإفرازات في الغدد، فيدرك الفرد ردة الفعل بعد أن يكون قد انتقل إلى الدماغ عن طريق الدفع العصبي، وتنعكس ردة الفعل على الحالة النفسية للفرد، كما يؤيد الفكرة السابقة العديد من الأبحاث البيولوجية، حيث تشير إلى وجود مناطق دماغية مسؤولة عن العنف مثل (لاميجديلا و الهيبوثلاموس) التي تؤدي استثارها كهربائيا إلى العنف، وهناك بعض النواقل العصبية والهرمونات التي ترتبط بالعنف أشهرها هرمون (التستسترون)، والناقل العصبي (السيروتونين)، وبعض الدراسات تشير إلى أن العنف موروث جزئيا.²

¹ - اسحاق ابراهيم منصور . علم الإجرام وعلم العقاب. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص ص 21-22.

² - بسام محمد، أبو عليان . مرجع سابق. ص 35.

1-2-3 المدرسة الكلاسيكية:

تعددت الإتجاهات النظرية المفسرة للجريمة بتعدد العوامل المسببة لها، فكان أول ظهور لتلك الاجتهادات في إنجلتيرا في النصف الثاني من القرن 19، راجت بعد ذلك في أوروبا وأمريكا، أطلق عليها "المدرسة الكلاسيكية أو التقليدية"، وقامت على مبدئي (اللذة والألم في تفسير الجريمة)، تفرض النظرية أن للفرد إرادة حرة، يختار سلوكه بناء عليها لتحقيق اللذة.

ومن رواد النظرية الكلاسيكية " بكاريا" الذي طالب بكاريا بإيقاع عقوبة مشددة على كل من ينتهك حرمة القانون، وأن تكون العقوبة موحدة ومتساوية بحق الجميع، بصرف النظر عن (العمر، الحالة الصحية، المستوى الاقتصادي، المركز الاجتماعي، المستوى التعليمي، ثم غير موقفة في ناحيتين:¹

- استثناء الأطفال والمجانين من العقاب، لأنهم لا يستطيعون حساب (الألم واللذة) بالعقل.

- حدد العقوبات بشكل ضيق بدلا أن تترك على إطلاقها.

ومن خلال بكاريا تبعا للمدرسة الكلاسيكية نجد أنه يركز على فرضية أن الإنسان كائن عاقل يمتلك الإرادة الحرة، لهذا فهو يعتمد على عملية حسابية قبل ارتكابه للفعل الإجرامي، أي أنه يبحث عن مقدار المنفعة جراء أي فعل أو سلوك يقوم به؛ فإذا كانت اللذة المتوقعة من الجريمة أكبر من الألم (العقوبة) فإنه يرتكب الجريمة، وهذا ما قد يظهر في عدد من الأفعال الإجرامية في وقتنا الحاضر، فبعض المجرمين نظرا لاعتيادهم على الإجرام وارتياحهم للمؤسسات العقابية يقدرون نوع الجريمة التي يرتكبونها وكذا الفترة التي يقضونها (مقدار العقوبة)، وهو ما قد نطلق عليه الجرائم الموسمية.

لهذا نجد بكاريا يركز على العقوبة والتي رأى بأنها ضرورية بهدف ردع الشخص الجاني، وبالمقابل نجد أنه استثنى بعض الفئات من العقوبة خاصة الأطفال؛ باعتبار أنهم لا يستطيعون قياس مقدار الألم الذي يعانون منه جراء ارتكابهم لفعل إجرامي، وكذلك المجانين فهم غير مكلفين قانونا، أي أنهم لا يشعرون أو لا يقدرون مقدار الفائدة التي يستطيعون جنيها من الجريمة، وكذا حجم الألم والعقوبة التي قد تلحق بهم بناء على الجريمة المرتكبة.

¹ - بسام محمد، أبو عليان. نفس المرجع السابق، ص 33.

1-2-4 الأفكار التي استندت عليها نظرية بكاريا:¹

- التأكيد على الطبيعة العقلانية للإنسان.
- التأكيد على مبدأ الإدارة الحرة عند الفرد.
- التأكيد على مبدأ أن سلوك الإنسان يسعى إلى تحقيق المنفعة.
- التركيز على الأخلاق والمسؤولية.
- الاهتمام بالبناء السياسي وكيف تتعامل الدولة مع رعاياها ومواضيعها.
- الاهتمام بالكرامة الانسانية وحقوق الإنسان.

من خلال الأفكار سالفة الذكر يتبين لنا أن بكاريا ركز على الإرادة الحرة في ارتكاب الفرد للجريمة، باعتبار أنه يسعى إليه بكل حريته، لذلك نجد أنه شدد على العقوبة دون مراعاة لأي ظرف، ولكن بعد ذلك استثنى بعض الفئات من العقوبة بالنسبة للأطفال والمجانين، باعتبار أنهم لا يستطيعون حساب حجم اللذة والألم، فالطفل لا يستطيع إدراك العقوبة حتى ينالها، كذلك الحال بالنسبة للمجانين، فلا يحسون بالألم أو اللذة، لأنهم لا يمكنهم التمييز.

فأفكار نظرية بكاريا أتت لتؤكد على عقلانية الإنسان، وكذا الإدارة الحرة، وهو ما يبين أن بكاريا اعتمد في طرحه على فكرة أن الإنسان له عقل ويستطيع التفكير به والتمييز بين الشيء الإيجابي والسلبي، وهو ما جعله يقترح تشديد العقوبة، ناهيك عن فكرة تحقيق المنفعة، أي أن ارتكاب فعل إجرامي حسبه يصاحبه البحث عن المنفعة، وتبعاً لما سبق نجد أن بكاريا ومن خلال موقفه حاول الاهتمام بكرامة الإنسان وضمان حقوق الإنسان.

¹ - بسام محمد، أبو عليان. مرجع سابق، ص 33.

2- الدراسات البيولوجية الجنائية لدى لومبروزو

رغم الاسهامات الأولية في الدراسات البيولوجية الجنائية قبل لومبروزو والتي كانت سطحية وافتقرت لمنهج علمي وأرجعت المتهم للشخص الأقبح وجها وكذا لعدة عوامل في حواس الإنسان، تبعا للإنتقادات التي طالت هذه النظريات، إلا أنه لا يمكن إنكارها باعتبارها المحطات الأولى التي أسست للعلم الجنائي، ولهذا سنحاول في هذه المحاضرة الحديث عن النظرية البيولوجية الجنائية لدى العالم سيزار لومبروزو، من خلال تعريفه، أعماله، موضوع النظرية، بالإضافة لتقسيم أنماط المجرمين حسب، وأخيرا الإنتقادات التي طالت نظريته.

من هو سيزار لومبروزو ؟

مؤسس علم الأنثروبولوجيا الجنائية العالم والطبيب الإيطالي اليهودي سيزار لومبروزو Cesare Lombroso (1835-1909)، ولد ودرس الطب بجامعة فنس، ويدعى أب علم الجريمة الحديث، عاش حياته عالما بمساعدة إبنتيه جينا وباولا وتلامذته وأتباعه، عمل طبيبا في الجيش ثم أمضى بقية عمره من سنة 1876 حتى وفاته أستاذا بجامعة تورين Turin.¹

1-2 أعماله:

قام بالعديد من البحوث إلا أن الشهرة جاءت بعد نشر كتابه الإنسان المجرم L'uomo، كما أشار لوجود علاقة بين الجنون والجريمة، ورأى وجود علاقة بين الصفات الجسدية والعقلية والجريمة منذ الولادة، فالجرم عند لومبروزو يتصف بالتخلف أو الارتداد في سلم التطور أي أنه أقرب إلى التوحش والبدائية، وقد أشار لومبروزو إلى بعض الصفات التي يتميز بها الإنسان المجرم كانهدار الجبهة، كبر الأنف، شعر خفيف وأجعد، بروز عظمة الخد...، تبعا للفحص الذي أجراه على 383 جمجمة لمجرمين متوفين و 6000 من المجرمين الأحياء، وخاصة بعد تشريحه لجمجمة مجرم يسمى فيلالا، حيث وجد تجويفا في قاع الجمجمة يشبه ذلك الموجود عند الحيوانات العليا كالقردة، كما فحص مجرما آخر يسمى فرني الذي قتل 20 امرأة وكان يشرب دماء ضحاياه، وفحص الجندي مسيديا الذي قتل 8 من رؤسائه وزملائه، علما أنه لم يكن مجرما قبل ذلك، وبعد قتله لزملائه غاب عن الوجود 12 ساعة وعندما استيقظ لم يتذكر شيئا.²

¹ - عايد عواد، الويكات. نظريات علم الجريمة. مرجع سابق، ص 63.

² - عايد عواد، الويكات. نفس المرجع السابق، ص 63.

2-2 مواضيع النظرية:

2-3-1 : المظاهر العضوية والتكوينية: اهتمت مدرسة لومبروزو بدراسة الظاهرة الجنائية ودوافع ارتكاب الفعل الإجرامي، بحيث نجد أنهذه النظرية ركزت على المظاهر العضوية والتكوينية، وأجهزة جسم المجرم الداخلية، حيث وجد لومبروزو أن لدى المجرمين شذوذ وتشوه في الهيكل العظمي، والأعضاء وشذوذ في العمليات الفيزيولوجية.¹

2-3-2 : الحتمية البيولوجية: تركز هذه النظرية على أن الإنسان المجرم يتميز بصفات انخطاطية، وترجعهما لعاملين؛ أولهما الردة الوراثية التي لا ترى في الإنسان المجرم سوى إنسان بدائي متوحش، والعامل الثاني التخلف الناتج عن مرض الصرع الذي ينتقل بالوراثة.

2-3-3 : إنكار حرية الاختيار: أنكرت هذه النظرية حرية الاختيار عند الإنسان من منطلق أن الإنسان ليس حرا في تصرفاته، بل هو مسير شأنه شأن الإنسانية بأسرها، وقد فسر أنصار المدرسة الحتمية السلوك بعوامل داخلية في رأي البعض، وعوامل خارجية في اعتقاد آخرين، حيث يرى أنصار هذا النظرية استبدال العقوبات بالتدابير الوقائية المناسبة للحالة الخطرة التي يكون عليها الجاني.²

فالمدرسة الوضعية الإيطالية التي أحدثت ثورة في علم الإجرام يجعل المجرم محور الدراسة بدلا من الجريمة، فقد ارتكز تحليلها على ثلاثة أعمدة: أولا؛ الأنتروبولوجيا الجنائية التي تربط السلوك الإجرامي بوجود تشوهات عضوية وفيزيولوجية في بنية الجسم، وثانيا عن الارتداد الوراثي أي البدائي أو الأمراض العصبية كالصرع، مما يجعل المجرم كائنا غير متطور، وثالثا نفى حرية الاختيار؛ بحيث اعتبرت المدرسة أن الإنسان مسير بعوامل بيولوجية وبيئية لا دخل له فيها، وبناء على ذلك نجد أن النظرية طالبت بضرورة استبدال العقوبات الزجرية التقليدية بتدابير احترازية تهدف إلى حماية المجتمع وعلاج مكامن الخطورة الإجرامية لدى الفرد، وهو ما مهد للسياسات الجنائية الحديثة يجعل المجرم محور الاهتمام على عكس النظريات والأبحاث القديمة التي كانت تركز على طبيعة الجريمة ونوعها وكذا العقوبات التي يجب تسليطها على مرتكبيها.

¹ - محمد نصر محمد . علم الإجرام. مرجع سابق، ص 87.

² - نفس المرجع السابق. ص 87.

2-4: تصنيف المجرمين حسب هذه النظرية:

صنفت هذه النظرية في البداية المجرمين إلى ثلاث طوائف، لتضيف بعد ذلك طائفتين، ليصبح في النهاية خمس طوائف كالتالي.¹

1-4-2: المجرم بالميلاد: يتميز هذا المجرم بصفات انخطاطية تميزه عن أقرانه البشر مثل اختلاف حجم الرأس عن الأشخاص العاديين، حجم الفك وعظام الوجنتين أكبر عن المعتاد، أذنان كبيرتان أو صغيرتان تشبهان أذني الشمبانزي، امتلاء الشفتين وبروزهما بشكل ملفت، وجود أصابع زائدة في الرجل أو اليد، ويرى لومبروزو أن هؤلاء الأشخاص لا يمكن إصلاحهم، ويجب حجزهم أو إعدامهم.

2-4-2: المجرم المجنون: حيث ترى هذه النظرية أن هذا الصنف يرتكب الجريمة بسبب مرض عقلي، كما أدخل لومبروزو ضمن هذا الصنف المجرم الهيسستيري، ومدمني الخمر، والمجرم الذي يعاني من الصرع الوراثي، ويرى لومبروزو أن هذا الصنف يجب أن يوضع في مستشفى للعلاج إلى أن يثبت شفاؤه.

3-4-2: المجرم بالعادة Habitude Criminal: المجرم بالعادة هو شخص مصاب بضعف خلقي، كما أن عوامل الإجرام لديه نابعة من البيئة التي نشأ فيها، مثل البطالة، وإدمان الخمر، وممارسة البغاء، وغالبا ما يرتكب هؤلاء جرائم الأموال.

4-4-2: المجرم بالصدفة Occasional Criminel: هؤلاء الأشخاص يرتكبون الفعل الإجرامي بسبب عدم تقديرهم للعواقب، أي عندما يجدون أنفسهم في مواقف لا يملكون حيالها إلا الوقوع في الجريمة، ويهدف إصلاحهم اقترح لومبروزو أن يعيش مثل هؤلاء المجرمين في بيئة أخرى غير التي ارتكبوا فيها الفعل الإجرامي، ولا يختلطوا مع معتادي الإجرام.²

5-4-2: المجرم بالعاطفة Passion Criminel: هو الذي يرتكب سلوكه الاجرامي نتيجة لانفعاله الشديد، بحيث لا يستطيع التحكم في ردود انفعاله اتجاه الاستفزاز الذي يتعرض إليه من الآخرين، ويرى لومبروزو أن الإستفزاز غالبا ما يكون متعلقا بقضية تمس الشرف أو المعتقد أو الانتماء...، ويرى لومبروزو أنه يجب إبعاد المجرم عن مكان ارتكاب الجريمة.

¹ - محمد نصر محمد. نفس المرجع السابق. ص 89.

² - نفس المرجع السابق، ص ص 90-91.

ومن خلال الطرح السابق نجد أن لومبوزو ربط السلوك الإجرامي بخصائص بيولوجية وراثية من خلال حديثه عن المجرم بالميلاد ومركزا في الوقت ذاته على السمات الجسدية الارتدادية، بحيث كان متأثرا بالنظرية الداروينية والتي ترى أن الإنسان كان عبارة عن قرد وبعدها تطور وارتقى في سلم الحضارة، كما اعتبر لومبوزو أن الإجرام قدرا بيولوجيا لا حيلة للفرد فيه مما يستوجب الاستئصال أو الحجز المؤبد، ثم انتقل إلى المجرم المجنون محولا الجريمة من ذنب أخلاقي عارض مرضي يتطلب العلاج لا العقاب، وهنا نجد أنه بدأ يركز على طريقة علاج المجرم عوض معاقبته مبررا ذلك بأن المجرم الذي يعاني من الصرع قد يرتكب الفعل الإجرامي بعيدا عن الأهلية وكذا السلامة العقلية.

ولم يكتف لومبوزو بالأصناف سالفه الذكر بل تطرق لصنف ثالث والمتمثل في المجرم بالعادة و المجرم بالصدفة؛ بحيث أرجع سبب الإجرام للبيئة والظروف المحيطة به، بل واعتبرها كدافع جوهري مساهم في لجوء الفرد إلى الجريمة، مطالباً في الوقت ذاته بفكرة الإصلاح والتأهيل بدلا من الزجر، ليأتي أخيرا ويطرح نوع آخر وهو المجرم بالعاطفة، الذي يرى أنه يرتكب فعله تحت ضغط انفعالي لحظي، وهو صنف يتسم بالندم مما يجعله أقل خطورة إجرامية.

2-5: الإنتقادات الموجهة للنظرية:

رغم الإسهامات التي قدمها لومبروزو في نظريته بهدف تفسير السلوك الإجرامي، إلا أنها تعرضت لانتقادات عديدة، ومنها نذكر:¹

- عدم وجود نظرية علمية واضحة استندت عليها دراسته في تفسير الجريمة.
- عدم وجود منهج علمي واضح من حيث وجود جماعات ضابطة وأخرى تجريبية.
- اعتماده على الإحصائيات الرسمية والتي يتحفظ عليها معظم الباحثين، وخصوصاً قسوة القوانين في تلك الفترة.
- عدم وضوح المفاهيم وصعوبة ترجمتها إجرائياً.
- لا يمكن تفسير الجريمة بناءاً على عامل واحد وهو بيولوجي، وهذا يعني إغفاله للعوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية.
- وجود كثير من الصفات عند عدد كبير من الأسوياء.
- بناءاً على ما هو متعارف عليه اليوم فإن 70 - 80% من السلوك متعلم، وهذا رفض لمسألة المجرم بالولادة.

يعتبر سيزار لومبروزو أب علم الجريمة وهذا لا يختلف عنه إثنان، بحيث ساهم من خلال دراساته المتعددة في إثراء الحقل الجنائي بعدة مفاهيم لها علاقة بالجاني والجريمة، كما أن شهرته لم تأتية إلا من خلال إصداره لكتابه الإنسان المجرم، كما أنه يعتبر السباق للقيام بدراسة على مجموعة من المسجونين باعتباره طبيب، لكن رغم المعلومات والمعارف التي قدمها، إلا أنه تعرض لانتقادات لاذعة، باعتبار أنه لم يستخدم العينة الضابطة في بحثه، أي أن دراسته كانت على فئة المجرمين فقط، وما وجدته من تشوهات جسمية أو خلقية أو وشم على هؤلاء المجرمين قام بتعميمه على البقية، أي أنه رأى في حال وجود أي علامة من العلامات السالفة على أي شخص يمكن اعتباره كمجرم، وهذا ما عرضه للانتقاد

¹ - عايد، عواد الوريكات. مرجع سابق، ص 66.

كما أنه اعتمد على إحصائيات جنائية رسمية، وهو ما انتقد عليه خاصة في تلك الفترة نجد أنه من الصعوبة بأمر الحصول على الإحصائيات بهدف توظيفها في دراسات علمية، ناهيك عن فكرة المجرم بالميلاد والتي أثارت الجدل حول هذا المصطلح، باعتبار أنه جرد الإنسان من إنسانيته.

ومن خلال الدراسات مكملة للومبروزو تظهر لنا دراسة الدكتور مينديز كوريا في البرتغال؛ والذي حاول من خلالها دراسة متسولي بورتو المحتجزين في إنترينوزيتو، باعتبار أنه كان مديرا له عام 1919، وتبعاً لدراسته لفئة المستولين فحص عددا منهم بحيث وجد تشابه بعض أنواعهم مع أنواع المجرمين تماما، باعتبار أن هذه الدراسة قام بإجرائها على مئات المتسولين، وخلص إلى نتيجة أن التسول يمكن اعتباره كمؤشر للولوج للجريمة؛ ويفسر ذلك أيضا بأن المتسولين وخاصة العاطلين عن العمل طوعا غالبا ما يكونون غير طبيعيين بسبب عيوبهم التعليمية؛ ومن بين هؤلاء الأفراد توجد عينات كبيرة التي تتميز بالتخدير العاطفي القوي وبعض الانحرافات في الحس الأخلاقي.¹

والمتنمّن في نتيجة التي وصل إليها العالم مينديز كوريا يستطيع بذلك إسقاط النظرية اللامعيارية لروبرت ميرتون على فعل التسول بحجة الغاية تبرر الوسيلة، فالشخص يبحث عن عمل معين قصد سد جوعه بطرق مشروعة، ولكن إذا وجد رفضا من طرف أرباب العمل قد يلجأ لأساليب غير مشروعة بهدف الحصول على المال؛ وهنا قد يكون باب التسول كأول محطة يطرقها هذا الفرد، ولعل المتتبع للواقع الاجتماعي قد يجد أن التسول أصبح يعرف تحولات كبيرة من حيث الشكل والفئة المنسولة بالإضافة للعبارات والحجج التي تقدم من طرف المتسول، فهذا الأخير قد ينعدم لديه الحس الأخلاقي مما يكون أقرب إلى ارتكاب الأفعال الإجرامية.

¹ -Quintiliano Saldana. TUE NEW CRIMINAL ANTHROPOLOGY. *Journal of Criminal Law & Criminology*, volume 24, 1993, p336.

<https://scholarlycommons.law.northwestern.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=2389&context=jclc>

3- الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية بعد لومبروزو:

3-1: الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأوروبية:

يعتبر سيزار لومبروزو رائد ومؤسس علم الجريمة تبعا للإسهامات المقدمة في مجال الأنثروبولوجيا الجنائية من خلال ربط الجانب البيولوجي بالسلوك الإجرامي، إلا أن نظريته تعرضت لانتقادات من طرف العديد من العلماء الذين أتوا بعده، ولهذا سنحاول من خلال هذه المحاضرة الحديث عن النظريات الأنثروبولوجيا الجنائية الأوروبية بعد لومبروزو.

3-1-1: بينينو دي تيليو: Benigno Di Tullio

يعتبر العالم الإيطالي ديتيليو من بين رواد المدرسة الوضعية الجديدة في أوروبا، فقد تبنى فكرة الوراثة وسار في فلك النظرية البيولوجية، لكنه لم يقتنع بالدور المطلق للوراثة في نقل السلوك الإجرامي، بحيث رأى أن استعدادات الإنسان التكوينية لا يمكن أن تشكل لوحدها دافعا إلى الجريمة، وأن الإنسان الذي يحمل هذه الصفات يستطيع التغلب على نوازع الشر (الجريمة).¹

كما وفق عند عدة نقاط تبعا لطرحه الكريمينولوجي من بينها، كما يتمتع الإنسان بتكوين نفسي وتكوين عقلي وتكوين عصبي يجعل له قابلية الإصابة بأمراض معدية كالسل والتهابات المسالك البولية وغيرها يوجد أيضا تكوين إجرامي، فإذا ما صادف هذا التكوين أو الاستعداد مؤثرا خارجيا يوقده، انطلقت غرائز الفرد فيقنع في هاوية الإجرام، وهناك قابلية أخرى تقوم على أساس التكوين النفسي والعقلي والعصبي للتحويل الإجرامي، تضل في مرحلة الكمون والانتظار إلى غاية توفر مثيرات تنشط هذا الاستعداد، وتدخل الشخص إلى مرحلة ممارسة الجريمة والانحراف.²

وتبعا لما سبق نرى أن ديتيليو ربط الفعل الإجرامي بالتكوين العقلي والنفسي للفرد، وحاول ربط ذلك بالمثيرات البيئية، فمثلا شخص لديه مرض عصبي عند استثارته أو محاولة استفزازه قد يتصرف بعنف مما يؤدي إلى وقوعه كجاني أو كمنحرف.

¹ - محمد نصر محمد . علم الإجرام. مرجع سابق، ص 96.

² - مصباح فوزية .مطبوعة لمحتوى مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية. ماستر 02، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر، 2020-2021، ص ص 44-45.

تصنيف ديتيليو الإستعداد الإجرامي: صنف ديتيليو الإستعداد الإجرامي إلى صنفين كالتالي: ¹

- استعداد إجرامي أصيل: يتميز بالثبات كونه ناتج عن التكوين الفطري النفسي والعضوي، ويمثل مصدر الخطورة الإجرامية التي توصل الإنسان المجرم إلى مرحلة من الإحتراف.
 - استعداد إجرامي عارض: يتميز هذا النوع عن سابقه كونه غير طاع على العوامل الأخرى، يمكن احتواءه والسيطرة عليه، إلا أنه إذا تفوق على العوامل الأخرى فإنه يظهر في شكل سلوك إجرامي (جانح).
- فمن خلال الإستعداد الإجرامي العارض يرى ديتيليو أن الظروف البيئية المحيطة بالشخص هي التي قد تكون كسببا مساعد على إجرام الفرد وقد يستطيع السيطرة عليه، بخلاف الإستعداد الإجرامي الأصيل فهو يعتبر الأشد خطرا، والذي يصعب السيطرة عليه، لأن الفعل الإجرامي يكون نتاجا عن خلل في التكوين العضوي أو النفسي لدى الشخص.

ويمكن تمثيل الإستعداد الإجرامي لدى ديتيليو بالمعادلة التالي: ²

استعداد إجرامي أصيل + عوامل اجتماعية ← ظرف سببي للسلوك الإجرامي ← مجرم بالتكوين.

استعداد إجرامي عرضي + عوامل اجتماعية ← ظرف مهيء للسلوك الإجرامي ← مجرم عرضي.

ومن خلال أفكار ديتيليو يرى بأن الأفراد لا يولدون مجرمين، بل يولدون ولديهم استعداد سابق للإجرام، ويظهر ذلك بحديثه عن نوعين من الاستعدادات الإجرامية؛ يأتي في المقام الأول الاستعداد الإجرامي الأصيل الذي يرى بأن مصدره يكون فطري (الوراثة) و العضوي (البيولوجي) والنفسي للفرد، باعتبار أن صاحبه يتميز بالثبات والقوة وهو البذرة الكامنة ضمن الاستعداد الاجرامي والتي تنتظر وجود ظرف سببي أو عامل مهيء بهدف ارتكاب السلوك أو الفعل الإجرامي، أما بالنسبة للخطورة فنجد أنه يمثل أعلى درجات الخطورة

¹ - محمد نصر محمد، مرجع سابق، ص 97.

² - مصباح فوزية. مرجع سابق، ص 45.

الإجرامية، لأنه يدفع صاحبه نحو الاحتراف الإجرامي، حيث يكون السلوك الإجرامي نابعا من الداخل وليس مجرد رد فعل لظرف معين.

ليأتي النوع الثاني والمتمثل بحسبه في الاستعداد الإجرامي العارض والذي يكون مرده من خلال التأثير بالعوامل الخارجية والبيئية المحيطة، كما يتسم هذا النوع بأنه استعداد غير طاع؛ بمعنى أنه أقل حدة من النوع الأول، كما يمكن السيطرة عليه إذا توفرت الظروف المناسبة، وبالنسبة لدرجة خطورته فنجد أنه يظهر فقط إذا تفوقت الضغوط الخارجية على قوة الإرادة، ويؤدي غالبا إلى سلوك إجرامي جانح أي عابر وليس احترافيا.

وتبعا للأنواع سالفه الذكر يمكن القول أن الإستعداد الإجرامي الأصيل يعتبر أشد خطورة لأن الخلل يكمن في التكوين (أي خلل نفسي أو عضوي) وهنا حتى لو تحسنت البيئة فقد يظل الاستعداد قائما ويصعب التحكم فيه بالوسائل التقليدية، مقارنة بالنوع الثاني؛ أي الاستعداد الإجرامي العارض والذي تحركه الظروف البيئية ويمكن للدولة والمجتمع السيطرة عليه من خلال العمل على تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

تصنيف المجرمين عند ديتليو: قسم ديتليو المجرمين إلى:¹

- مجرم بالتكوين.
- مجرم بالتكوين ذو نمو ناقص.
- مجرم بالتكوين ذو اتجاه عصبي سيكوباتي.
- مجرم بالتكوين ذو الاتجاه المختلط.
- المجرمون بالصدفة.
- المجرمون المجانين.

وحسب ديتليو نجد أنه قام بتصنيف المجرمين إلى ستة أصناف، فالنوع الأول وهو المجرم بالتكوين؛ وهذا النوع يمتلك إستعداد إجرامي أصيل الذي تم ذكره سابقا، وهو شخص لديه ميل غريزي أو عضوي لاتكباب الفعل الإجرامي، كما تعتبر العوامل البيئية بالنسبة له مجرد محفز.

¹ - محمد نصر محمد، مرجع سابق، ص 97.

ليأتي النوع الثاني المجرم بالتكوين ذو النمو الناقص؛ بحيث يقصد بها الفئة التي تعاني من تأخر أو نقص في التطور سواء كان عضويا من خلال نقص في بعض الإفرازات الهرمونية أو تشوهات جسدية، أو عقليا من خلال عدم اكتمال النضج العقلي أو الأخلاقي مما يجعله غير قادر على إدراك عواقب أفعاله، أي أنه يتصرف دون إدراك.

أما النوع الثالث والذي يتمثل في المجرم بالتكوين ذو الاتجاه السيكوباتي؛ والذي يربط بين التكوين العضوي والاضطراب النفسي، كما أن هذا المجرم يتميز بالعنف والاندفاع وصعوبة الاندماج الاجتماعي، وغالبا ما تكون جرائمه تتسم بالقسوة.

وفيما يخص النوع الرابع المجرم بالتكوين ذو الاتجاه المختلط؛ وهو الذي يجمع كل الصفات سالفة الذكر، فقد يمتلك خللا عضويا مع اضطراب نفسي، أو يجمع بين الاستعداد الأصيل والظروف البيئية القاسية بشكل مساو، وهذا النوع يتميز بالتعقد في أسباب لجوئه للفعل الإجرامي.

أما المجرم بالصدفة والذي يندرج ضمن النوع الثاني أي الاستعداد الإجرامي العارض؛ باعتبار أن هؤلاء الأفراد ليس لديهم ميل إجرامي متأصل، فقد يقعون في الجريمة نتيجة لضغوط خارجية استثنائية، كال فقر الشديد الذي قد يجعل الفرد يلجأ إلى السرقة بهدف سد جوعه، وهو ما تستند عليه النظرية اللامعيارية لروبرت ميرتون؛ والذي يذهب إلى القول بأن الفرد يحاول اللجوء لطرق وأساليب مشروعة بهدف تحقيق أهدافه وإذا وجد تعارضا من طرف أفراد المجتمع يلجأ لأساليب وطرق غير مشروعة بهدف تحقيق أهدافه، تحت حجة الغاية تبرر الوسيلة.

وأخيرا نجد المجرم المجنون الذي تحدث عنه ديتيليو ورأى بأن هؤلاء المجرمون يرتكبون جرائمهم نتيجة لمرض عقلي، فهذه الفئة ينعدم لديها الإحساس وكذا التمييز والإرادة، كما أنه قانونيا غالبا ما يتم وضعهم في مصحات عقلية بهدف علاجهم، باعتبار أن الاستعداد هنا ليس إجراميا بقدر ما هو مرضي.

3-1-2: تشارلز قورنق (1870-1919) Chaeles Goring

عمل قورنق طبيباً وضابطاً في السجون الإنجليزية وكان على دراية تامة بعلوم الإحصاء والقياسات العضوية والدراسات المسحية، وقام بدراسة إحصائية مقارنة على 300 من المجرمين، وجمع معلومات من أناس عاديين، بحيث قارن بين المجرمين وغير المجرمين وتوصل إلى رفض ودحض نظرية لومبروزو، أي أنه لم يجد علاقة سببية تؤكد وجود النمط الجنائي الجسدي، كما وصفه لومبروزو، وعلى الرغم من ذلك رأى وجود بعض الاختلافات المتعلقة بالطول والوزن، حيث لاحظ أن المجموعة المجرمة أقصر قامة وأقل وزناً، ومع ذلك لم يقترح بأن المجرمون يعانون من انحراف وراثي، ولا يكون للوراثة دخل في ذلك.¹

كما قارن بين الآباء والأبناء الإخوة من أجل تفسير السلوك المنحرف، واستنتج أن نسبة التشابه بين الآباء والأبناء في السلوك الإجرامي هي 60% وهي النسبة نفسها المتعلقة بطول القامة ولون العين، ونسبة تشابه الإخوة في سلوكهم الإجرامي هي 45%، وهي نفس النسبة الفيسيولوجية.²

يمثل الطبيب الإنجليزي تشارلز جورنيج نقطة تحول حاسمة في علم الجريمة، بحيث نقل التفسير الجنائي من العشوائية الوصفية إلى الدقة الإحصائية، بحيث استند قورنق في دراسته على المنهج المقارن مستهدفاً دحض نظريات لومبروزو التي ربطت بين الإجرام والملامح الجسدية البدائية، ومن خلال تحليله لعينة من المجرمين أثبت إحصائياً عدم وجود نمط جسماني خاص بالمجرمين يميزهم عن عامة الناس، مؤكداً بذلك أن المجرم لا يمتلك سمات تشريحية وحشية ارتدادية كما كان يشاع، ومع ذلك لاحظ وجود فروق طفيفة في الطول والوزن، مرجعاً إياها إلى عوامل وراثية وبيئية عامة لا معلومات حتمية الإجرام.

كما ركز قورنق على أن الجريمة تنتقل عبر الأجيال بنسب إحصائية مشابهة لانتقال الصفات الجسدية (مثل لون العينين)، حيث وجد تشابهاً سلوكياً بين الآباء والأبناء يصل لـ 60%، كما أن هذا التحليل لم يحصر الجريمة في البيولوجيا فقط، بل فتح الباب أمام الوراثة الاجتماعية وضعف القدرات العقلية كعوامل مفسرة لارتكاب السلوكات الإجرامية.

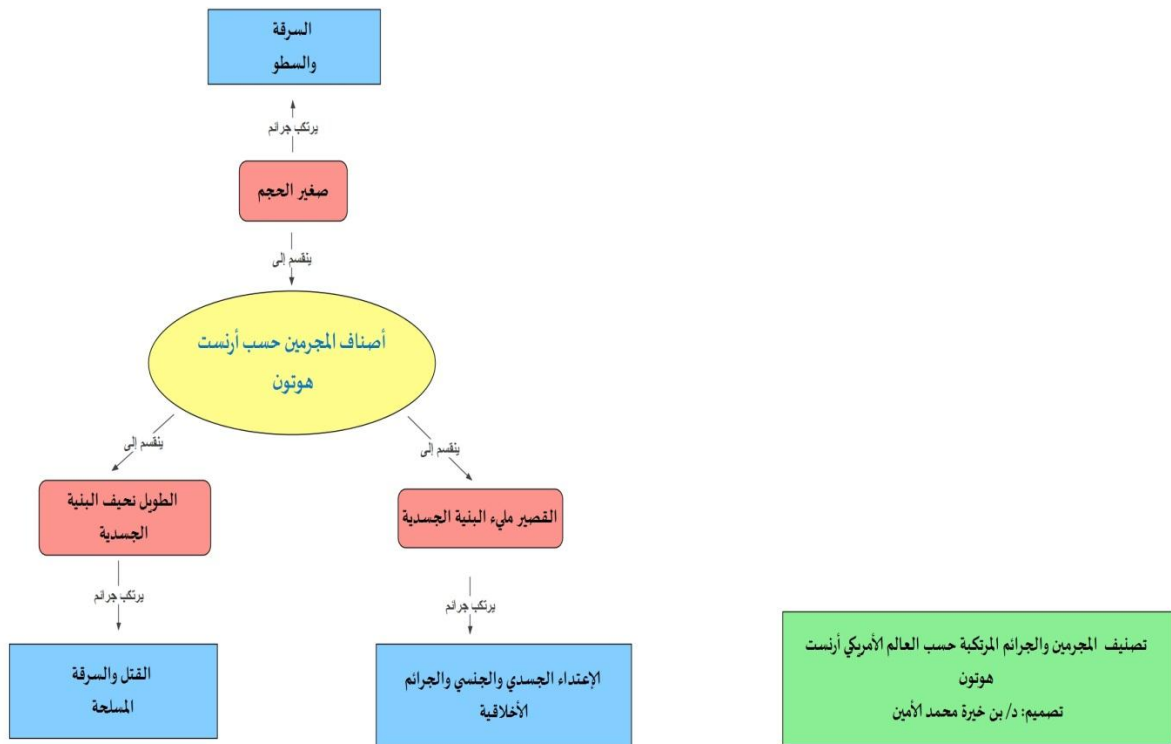
¹ - عايد عواد الوريكات. مرجع سابق، ص 71.

² - نفس المرجع السابق، ص 72.

3-2: الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأمريكية:

رغم الإسهامات الأولية التي كان لها دور بارز في تشكيل علم الجريمة وكذا الأنثروبولوجيا الجنائية، إلا أننا نجد أن العديد من العلماء والرواد طالتهم عدة انتقادات، بحيث سنحاول في هذه المحاضرة التطرق لأهم إسهامات العلماء الأمريكيين في مجال الدراسات الأنثروبولوجية.

3-2-1: أرنست هوتون



فالعالم أرنست هوتون كغيره من العلماء السابقين في مجال علم الجريمة قام بتصنيف المجرمين، لكن هذه المرة ركز على نوع الجريمة وطبيعة جسم المجرم، أما بالنسبة للصفات الجسمية للمجرمين فقد نجد أنه حذى حدو سيزار لومبروزو، وهو ما يبين قيمة الإسهام الذي قدمه لومبروزو في مجال علم الجريمة.

يعتبر أرنست هوتون من بين رواد المدرسة الأنثروبولوجية الأمريكية، بحيث أجرى دراسة مقارنة على مجموعة من المجرمين وأخرى من غير المجرمين (الأسوياء)، حيث بلغ عدد العينة (13000) سجينا من سجون مختلفة في أمريكا، وبلغ عدد الأسوياء (3000) فردا، كما قام بدراسة أخرى على عينة مكونة من (5689) فردا، ومن خلال هاتين الدراستين توصل إلى الصفات الجسمية التي تميز المجرمين عن الأسوياء منها:¹

- وجود اختلاف بين المجرمين والأسوياء من حيث الصفات الجسدية، حيث يتميز المجرمون بـ (جبهة منخفضة، الأنف الضيق أو العريض، الفك الضيق، الوجه المضغوط.
- تتلاءم التشوهات الجسدية مع تشوهات في القدرات العقلية عند المجرمين.
- تعود التشوهات الجسدية إلى عامل الوراثة وليس نتيجة لعوامل أخرى، وتتميز حواجبهم بالرفع الكبير.
- يتميز المجرمين بالوشم، الذي قل وجوده عند الأسوياء.
- يتميز المجرمون بالشفاة المرتفعة والفكوك المستوية خاصة عند ضغط أسنان الفك العلوي على أسنان الفك السفلي مقارنة بالأسوياء.

- الأذان الخارجية عند المجرمين ملتوية إلى الداخل، وبروزها وصغر حجمها.

3-2-2 أصناف المجرمين والجرائم التي يرتكبونها كما حددها أرنست هوتون:

- الطويل نحيف البنية الجسدية: يميل إلى ارتكاب جرائم القتل والسرقة المسلحة.
- صغير الحجم: يميل إلى جرائم السرقة والسطو.
- القصير مليء البنية الجسدية: يميل إلى جرائم الاعتداء الجسدي والجنسي والجرائم الأخلاقية عموما.

3-2-3 الانتقادات الموجهة لأرنست هوتون:

- لم يعط هوتون اهتماما كبيرا للعوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ودورها في ارتكاب الجريمة، إذ اعتمد على العامل البيولوجي فقط.
- غموض بعض المفاهيم التي استخدمها هوتون.
- تجاهل هوتون الفروق الفردية بين عينة البحث.

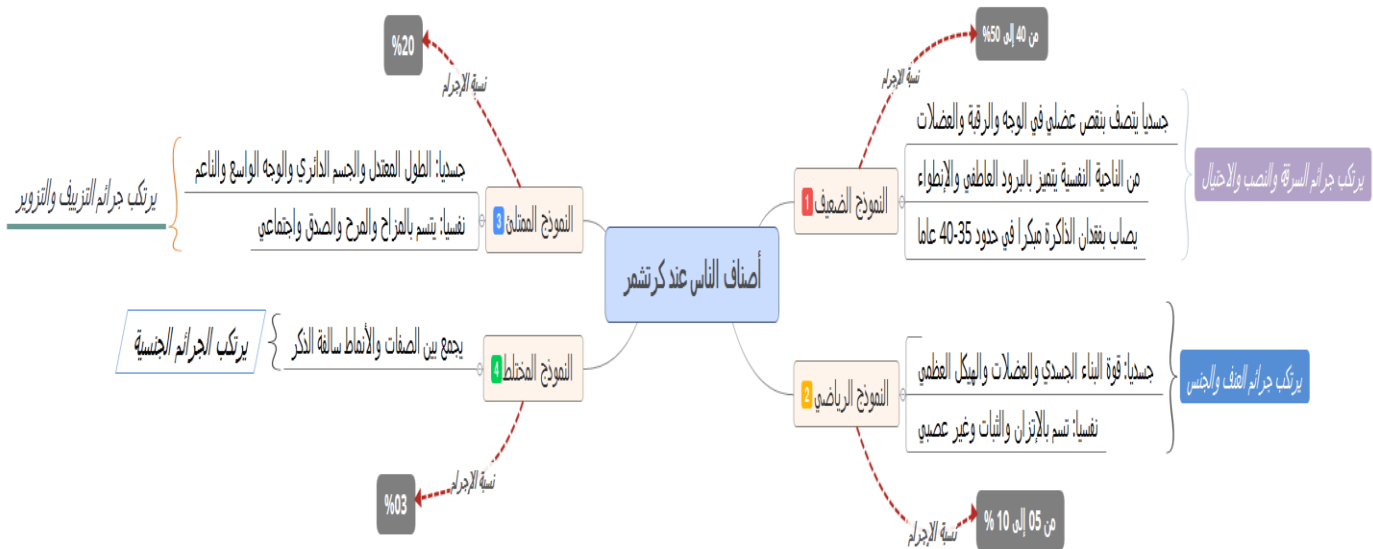
¹ - بسام محمد أبو عليان. الإنحراف الاجتماعي والجريمة. مرجع سابق، ص ص 39-40.

3-3 ويليام شيلدون: تبعاً لكتاب شيلدون المعنون بـ "الاختلافات في انحراف الشباب"، والذي تمثل في دراسة أجريت على عينة من مائتي فردا يقيمون في دار التأهيل بولاية بوسطن الأمريكية، والتي استغرقت ثماني سنوات من (1939-1946)، بين أنه لا يمكن دراسة السلوك الإنساني ما لم يكن الباحث على علم بالجوانب التالية: (التكوين الجسدي، تاريخ النمو، السجلات الطبية، التحصيل الدراسي، درجة الذكاء، التاريخ العائلي، العلاقات الاجتماعية)، وتبعاً لدراسته فقد قام بتقسيم المجرمين حسب بنيتهم الجسدية كمايلي: ¹

- المجرم النحيل: يتصف بالنمو العضلي والعظمي.
- المجرم الممتلئ: يتصف باستدارة الجسم وبالبشرة الملساء، وضخامة الجهاز الهضمي وقصر الأطراف.
- المجرم القوي: يتصف باكتمال البناء العظمي والعضلي وطول القامة.

4-3 أرنست كرتشمير:

أصناف المجرمين ونسبة القابلية للإجرام حسب أرنست كرتشمير



¹ - بسام محمد، أبو عليان، مرجع سابق، ص 40.

قام أرنست كرتشمير بتقسيم الناس كما يلي:

- النموذج الضعيف: يتصف بالنقص في الجوانب الجسدية التالية (الوجه، الرقبة، العضلات والهيكل العظمي)، من الناحية النفسية تميزون بـ (البرود العاطفي والانطواء)، وقد يصاب هذا النموذج بفقدان الذاكرة مبكراً في حدود 35 إلى 40 عاماً.¹
- النموذج الرياضي: يتصف جسدياً بـ (قوة البناء الجسدي والعضلات والهيكل العظمي) ومن الناحية النفسية يتصفون بالإتزان والثبات وغير عصبي.²
- النموذج الممتلئ: يتصف بالجوانب الجسدية التالية (الطول المعتدل، والجسم الدائري، والوجه الواسع والناعم، والرقبة الضخمة، والأيدي الناعمة)، ومن الناحية النفسية يتصفون بالمزاح والمراح والصدق واجتماعيين
- النموذج المختلط: يجمع بين الصفات والأنماط سالفة الذكر.

3-4-1 ربط كارتشمير النموذج الجسدي والجريمة فتوصل إلى:

ينقسم المجرمون إلى نفس الأصناف الأربعة سالفة الذكر، إلا أن نسبة الإجرام تختلف من شخص لآخر، وكانت النسب كالتالي: الضعيف (40-50%)، الرياضي (5-10%)، الممتلئ (20%)، المختلط (3%).

- يتميز الممتلئون بالميل نحو الجريمة كلما تخطو سن (40-50) سنة، ويقبلون عنها بشكل أسرع من غيرهم، أما الضعاف يرتكبون الجريمة في السن المتقدمة.

3-4-2 أنواع الجرائم حسب النموذج:

- الضعاف: جرائم السرقة، النصب والاحتيال.
- الرياضيون: جرائم العنف الجنسي.
- الممتلئون: جرائم التزيف والتزوير.
- المختلط: الجرائم الجنسية.³

¹ - بسام محمد، أبو عليان ، نفس المرجع السابق، ص 41.

² - نفس المرجع السابق، ص 42.

³ - نفس المرجع السابق، ص ص42-43.

المحور الثالث:

أثر العوامل البيئية في تكوين الفرد المجرم

1- البيئة العائلية:

تعتبر البيئة العائلية المحضن الأول الذي يعيش الفرد في كنفه، فهي تساعد على التأقلم وتعلم كيفية بناء علاقات اجتماعية ضمن محيطه العام، ولا شك أن الطفل يتعلم من الأسرة باعتبارها القدوة؛ نظرا لعامل الملاحظة والمعايشة الدائمة، لذلك سنحاول في هذا المحور الحديث عن الأسرة وكيفية مساهمتها في تكوين الفرد المجرم.

أثر العوامل البيئية في تكوين الفرد المجرم.

رغم الأطروحات التي قدمت من طرف المدرسة العضوية في التكوين البيولوجي للفرد المجرم سواء قبل لومبروزو، وكذا النظريات البيولوجية اللومبروزية، بالإضافة إلى النظريات الأنثروبولوجية الجنائية بعد لومبروزو الأمريكية أو الأوروبية الذين أجمعوا على دور الجانب البيولوجي في تكوين الفرد المجرم، بحيث أنهم تعرضوا لانتقادات لاذعة، نظرا لإهمال بقية الجوانب الأخرى في التكوين الإجرامي، لذلك نجد ظهور علماء آخرين والذين أرجعوا تكوين الفرد المجرم إلى العوامل البيئية.

1-1 إجرام أحد أفراد العائلة:

يعتبر إجرام أحد أفراد العائلة من بين الأسباب التي قد تجعل الطفل أو الشاب أكثر قابلية للجنوح أو الإجرام، باعتبار أن البيئة الأسرية هي المحضن الأول للطفل، فهو يتأثر بكل سلوكاتها ويحاول تقليدها والسير على نهجها، "وقد استخلص العالم الغربي (بورت) تبعا لدراسة أجراها في إنجلترا سنة 1944 أن نسبة الإجرام في أسر المجرمين الأحداث تزيد عن خمسة أمثال ما نسبته في أسر الأحداث غير المجرمين... كما أوضح أن 87.7% من المجرمين الأحداث الذين أجرى عليهم دراسته قد تمت تربيتهم في عائلات كان بعض أفرادها مجرمين، كما لاحظ في دراسة أجراها على 500 مجرم حدث ومقارنتهم بـ خمسمائة (500) آخرين من الأحداث غير المجرمين أن 90% من المجرمين الأحداث تنتشر في أسرهم ظاهرة الإجرام والإدمان على المسكرات".¹

¹ - عبد العظيم نصر، المشيخص. الإنحرافات الاجتماعية المشاكل والحلول. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص 67.

وتبعاً للاحصائيات سألقة الذكر يتبين لنا أن إجرام أحد افراد العائلة قد يساهم بدرجة أكبر في انحراف بقية أفراد الأسرة، فالطفل يتعلم السلوك من الأفراد الأكثر قرباً له والأكثر احتكاكاً وتفاعلاً معهم، وبالرجوع للواقع الاجتماعي قد نجد أن العديد من الأفراد المجرمين من مروجي المخدرات يستخدمون إخوانهم أو أقربائهم بهدف مساعدتهم في الترويج للمخدرات، وخاصة الأحداث منهم.

1-1-1 طبيعة العلاقات الأسرية:

"تؤكد الدراسات العلمية الميدانية التي قامت بها اللجان المتخصصة في دراسة علم الجريمة والاجرام في المجتمعات الإسلامية، أن النمو الاجتماعي للطفل داخل أسرته والأساليب التربوية التي يتعامل بها أرباب الأسر مع الأطفال، وبالأخص الصلات ووشائج العلاقات بين الأم والأب من جهة وبين الأبناء بمختلف رتبهم من جهة ثانية، لها علاقة بالجريمة الاجتماعية في الوسط الاجتماعي كما وكيفاً".¹ فالتوترات والعنف داخل الأسرة قد يكسب الطفل سلوك عنيف، ومنه يحاول ترجمته في الواقع الاجتماعي، باعتبار أن الطفل تشبع بثقافة العنف الأسري، وفي ظل غياب عامل الحوار الأسري وكذا الحنان الذي بدوره قد يخلق ما يسمى بالجفاء العاطفي اتجاه الآباء، وهو ما يساهم في حدوث هوة أو بالأحرى قطيعة، وهنا يجد الابن نفسه في فضاء مفتوح دون حسيب أو رقيب، مما قد يلجأ لممارسة الجرائم والانحرافات على اختلاف أنواعها.

2-1 غياب أحد الوالدين أو كلاهما:

يعتبر غياب أحد الوالدين أو كلاهما من بين الأسباب المساهمة في وقوع الابن تحت طائلة الإجرام والانحراف، ومن بين أشكال هذا الغياب نذكر:

1-2-1 خروج المرأة لسوق العمل:

"يقول الفيلسوف برتراند راسل: إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأعمال العامة، وخروجها أغلب أوقاتها وغياها في عملها، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على التقاليد الأخلاقية المألوفة، مما يسبب استفحال الجرائم في العالم البشري، وأن فقدان الحنان والحب والتعامل الخشن كانت عوامل وبواغت على الإجرام الاجتماعي".²

¹ - عبد العظيم المشيخص. المرجع السابق. ص 64.

² - نفس المرجع السابق. ص 66.

فخروج المرأة للعمل قد يسهم في انحراف أبنائها، باعتبار أنها قد تولي أهمية لعملها على حساب تربية أبنائها، كما أن الطفل وخاصة في مراحله الأولى يحتاج لأمه، لذلك عندما يفتقد وجودها في المنزل قد يبحث عن بديل، وهنا يلجأ لجماعة الرفاق سواء في الواقع الاجتماعي أو عبر الفضاء الافتراضي، مما قد يتأثر بهم ويجعله ينهج نهجهم، خاصة في ظل غياب عامل الحوار الأسري الفعال وكذا فقدان الحنان الوالدي، ما يجعل الإين (ذكر/أنثى) يبحث عن بديل لتعويض الحنان الذي فقد، وهنا قد يدخل إما في العلاقات غير الشرعية، أو حتى ضمن جماعات انحرافية وإجرامية.

1-2-2 التفكك الأسري:

يعد التفكك الأسري من بين أخطر المفاهيم المسببة لجنوح الأحداث، كما يطلق بعض الباحثين عليه بالتصدع الأسري، والذي بدوره ينقسم إلى تفكك (تصدع) مادي، وتفكك معنوي، وقد توصلت كثير من الدراسات إلى نتائج في هذا المجال، حيث خلصت دراسة أجريت على (18375) فتاة جانحة ينتمون إلى خمس وعشرين (25) دولة، أن (15104) أي حوالي (82%) ينتمون إلى أسر مفككة، كما دلت دراسة أجريت في فرنسا على أن (90%) من الأطفال الجانحين ينتمون إلى أسر مفككة، وكان السبب في أغلب هذه الحالات انفصال أو طلاق الوالدين¹.

وتبعاً للإحصائيات سالفة الذكر يتبين لنا أن التفكك الأسري يؤثر على الأبناء بطريقة مباشرة، فالإبن عندما لا يجد الرعاية اللازمة في ظل التصدعات الأسرية قد يبحث عن البديل، وهنا قد يقع تحت تصرف عصابات إجرامية، كما أن التفكك لا يقتصر على طلاق الوالدين وانفصالهما، بل قد يتعدى للتفكك المعنوي، فقد يعنف الرجل زوجته أمام أبنائه، ويتدمر من طريقة الحصول على الأموال بهدف تربية أبنائه، وهو ما قد ينعكس بالسلب على أبنائه، يحاولون من خلاله البحث عن مصادر أخرى للحصول على الأموال وقد يكون ذلك على حساب القيم الاجتماعية.

¹ - محمد نصر محمد .علم الإجرام. مرجع سبق، ص 173.

1-3 عدم التوافق بين أفراد العائلة:

يعتبر عدم التوافق الأسري من بين المشكلات التي تؤرق الأسر الجزائرية، خاصة في ظل عدم الاتفاق حول كيفية إدارة وتسيير شؤون البيت، خاصة في ظل الصراعات المتكررة بين الأزواج، كما أن التغير الاجتماعي الذي أدى إلى انتقال الأسرة من الممتدة إلى النووية قد ساهم في حدوث فراغ في العملية التربوية في ظل الصراع الذي قد يكون بين الزوجين وهو ما ينجم عنه إهمال الأبناء.

ولا شك أن تعدد بعض العوامل قد تساهم في غياب التربية الصحيحة للأبناء، ومنها نذكر:

- جهل الوالدين بأصول التربية الصحيحة: يتجسد بالإفراط بين اللين والقسوة فهذا يؤدي إلى ظاهرة النفور والإحساس بالإهمال المعنوي كما هو الحال في الأسر كثيرة العدد، وكذا التفرقة بين الأبناء في المعاملة، ومن ثمة يعاني الأبناء من الإهمال المادي والمعنوي بسبب عدم العدل في المعاملة.

- تدني المستوى الثقافي للوالدين: إن تدني المستوى الثقافي قد يكون سببا في الإهمال العائلي ويؤدي إلى غياب الحوار بين أفراد الأسرة ويكون الأبوين غير متفهمين للأمور العائلية والحاجات النفسية والمادية للأحداث وهذا يؤدي إلى الإهمال.¹

فغياب المعرفة الصحيحة بأصول التربية لدى الأحداث تعتبر من بين المشكلات التي تستدعي أن نقف عندها ونحاول البحث في أسبابها، خاصة في ظل ممارسة القسوة تارة واللين تارة أخرى في عمية التربية، أو نجد أن أحد الوالدين يعتمد على اللين والآخر على القسوة، وهو ما يجعل الطفل الحدث يميل إلى من يعامله باللين وينفر من الذي يعامله بالقسوة، مما تشكل هوة بين الابن ووالديه، وهو ما قد يجعله يتمرد عليهم محاولا بذلك البحث عن محتويه ويوفر له بيئة ليبر عن آرائه وأفكاره بكل حرية بعيدا عن القيود الأسرية.

ولا شك أن الأم الجزائرية قد تمارس اللين أكثر من الأب، مما قد جعلها لا تخبر الأب بكل الأمور السلبية التي يلجأ إليها الطفل (الهروب من المدرسة، الشجار، السرقة، التعدي على الآخرين، الدخول إلى المنزل في وقت متأخر...)، فهي بذلك قد ترى أنها لا تقوم بالوشاية عن ابنها قصد عدم تعرضه للمعاملة القاسية من الأب،

¹ - علي، قصير. "الإهمال العائلي وتأثيره على سلوك الأحداث للجنوح نحو الجريمة في الجزائر". مجلة الإحياء، المجلد 15 (01)، (2015)، ص 269.

وهنا نجد أنها قد أخطأت لأنها فتحت المجال للإبن وتركت له جانباً من الحرية وهي التي قد يستخدمها في أمور لا أخلاقية.

طبعاً دون أن ننسى تدني المستوى الثقافي لأحد الزوجين أو للزوجين معاً، وهو ما قد يؤثر عليهم في عملية اتخاذ القرار، لهذا فقد يحمل كل طرف الآخر مسؤولية التربية والتقصير، ناهيك عن اللاتوافق الثقافي؛ عندما يكون أحد الزوجين أعلى مستوى من الآخر (الجانب العلمي، الجانب الثقافي...)، وهو ما قد يخلق حالة صراع خاصة في ظل عدم قدرة الطرف الأول فهم الطرف الثاني، مما قد ينعكس على الحدث بالسلب ويجعله ينحرف أو ينجح للفعل الإجرامي.

1-4 التربية العائلية الخاطئة:

تعتبر التربية كعملية اجتماعية تتم داخل إطار النسق الاجتماعي العام، بحيث تتداخل العديد من المؤسسات الاجتماعية في سبيل تحقيق هذه العملية، ولعل أول مؤسسة لها مسؤولية مباشرة بالتربية نجد الأسرة، إذ تعتبر الخلية الأساسية للمجتمع، بحيث ينشأ الفرد في كنفها ويتشبع من قيمها وعاداتها وتقاليدها وأنماطها الاجتماعية، بحيث يتأثر بكل ما يحدث داخلها، مما قد ينعكس على سلوكه وأفعاله ضمن البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ومنه يمكن طرح التساؤل التالي:

كيف تساهم التربية العائلية الخاطئة في إنتاج وتكوين الشخصية الإجرامية داخل الأسرة؟

"تعتبر التربية الوالدية من بين أهم المرتكزات التي يقوم عليها المجتمع، بحيث نجد أن بيكر 1969 وضع نموذج ثلاثي الأبعاد للتربية الوالدية وهو أيضاً عبارة عن أزواج متناقضة من الكلمات:¹

- العدا / الدفء

- التشدد / التسامح

- الاندماج القلق / الحياء الهادئ

فالدفع والتسامح والحياء قد يخلق جواً ديمقراطياً وفاعلاً آمناً، في حين التشدد والعداء والاندماج والقلق قد يولد التصلب والتسوط والإهمال، لكن لا ينبغي الإفراط في الدفء والتسامح فقط يولدان التذليل.

¹ - مزوز، بركو. أطفال الشوارع القيم وأساليب التربية الوالدية. القاهرة: دار جونا للنشر والتوزيع، 2014، ص ص 248-249

وتبعاً لنموذج بيكر نرى أن التربية في مجتمعاتنا العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة تختلف بين الإيجابية والسلبية، وبين القسوة والليونة، لهذا فالعداء والصراع داخل الأسرة قد يؤثر بالسلب على الطفل ويجعله يعيش ناقماً من أفراد أسرته، خاصة إذا رأى أن العنف يتكرر أمامه دائماً، وهو ما قد يفتح له المجال للهروب من المنزل (خاصة المراهقين)، أو محاولة البحث عن فئة تحتويه خاصة في مراحل العمرية الأولى.

كما أن التشدد وكذا القسوة على الابن قد تجعله ينحرف أو يجنح، ومرد ذلك أنه كلما أتيحت له الفرصة لجأ للانحراف، خاصة إذا كان يتعرض للقسوة وأساليب التعذيب في عملية التربية، بحيث هناك مقولة تقول (كل ممنوع مرغوب)، فالطفل في مراحل العمرية الأولى يبحث عن تجريب أي شيء، بهدف حب الاكتشاف والاطلاع على جوهر الأشياء، وخلال فترة الاطلاع لابد أن تتم مرافقته، وفي حال ما تم التخلي عنه بالعبرة المنتشرة في واقعنا الاجتماعي (دير رأيك، راك كبير، أنت اللي راح تندم ...)، كلها عبارات تحاول تحميل الابن المسؤولية رغم صغره من جهة، ومن جهة أخرى تجعل الوالدين يتهربون من المسؤولية، مما قد يضطرم الابن بأساليب العقاب في أول خطأ له، وهو ما قد يجعله يتمادى في خطئه انتقاماً من الأسرة التي قامت بتهميشه.

1-5 الظروف الاقتصادية للعائلة:

تعتبر الظروف الاقتصادية للعائلة كالفقر والحرمان من بين الأسباب التي قد تدفع بالأبناء للجنوح والإجرام، خاصة في المراحل العمرية الأولى، بحيث يحاولون البحث عن أساليب وطرق لإعالة عائلاتهم من جهة، ومن جهة أخرى يبحثون عن الأعمال الأكثر تحصيلاً للأموال.

والمتتبع للواقع الاجتماعي قد يجد أن الكثير من الشباب ذهبوا كضحايا للمتاجرة بالمخدرات والحبوب المهلوسة (إكستازي - بريغابالين)، لا لشيء إلا لوجود عائد مالي كبير جراء المتاجرة في هذه الأمور المجرمة، فقد يهرب الشاب من العمل المقبول والذي يوفر له مبلغ يتراوح ما بين 1000 و 1500 دج في اليوم، ويلجأ إلى المخدرات والأقراص المهلوسة التي يجني منها قرابة 30000 دج يومياً حسب تصريح أحد مروجي المخدرات، وهو ما قد يجعل الجنوح من خلال المتاجرة بالمخدرات كأسلوب حياة لهم، متحججين بمقدار المبلغ المحصل كل يوم.

لهذا فقد نجد هناك اختلاف بين العلماء من حول تحديد الصلة بين العوامل الاقتصادية وظاهرة الإجرام، ولهذا نجد أنهم انقسموا إلى ثلاثة اتجاهات:

"أولاً: الاتجاه المبالغ في تقدير أهمية العوامل الاقتصادية: بحيث يذهب انصار هذا الاتجاه للقول بأن الجريمة ترجع للظروف الاقتصادية في المجتمع، وقد تطرق بعض مؤيدي هذا الاتجاه إلى الحد الذي نسبوا فيه الجريمة تحديداً إلى النظام الرأسمالي بعينه استناداً إلى أن هذا النظام يؤدي إلى سوء توزيع الثروة بين أفراد المجتمع، مما يترتب عليه وجود فوارق طبقية اجتماعية، مما يثير الشعور بالظلم الاجتماعي لدى الطبقات الكادحة فيدفع البعض منهم تحت وطأة القهر إلى سلوك سبيل الجريمة".¹

وتبعاً للاتجاه الأول نجد أن الرأسمالية قد ساهمت في وجود فوارق اجتماعية بين بني البشر، وهو ما قد يساهم في منع المنافسة الشريفة بهدف البحث عن الملكية، فمؤيدوا هذا الاتجاه يرون أن سوء توزيع الثروة بين أفراد المجتمع ينتج عنه فوارق طبقية اجتماعية، وهو ما قد ينتج عنه الفوضى والسرقة وكل أشكال الانحراف والجنوح، بحيث يرى الأفراد أنه لا سبيل لهم للحصول على الثروة إلا من خلال اللجوء للجريمة بمختلف أنواعها، وقد تتعدد بين السرقة والاختلاس، التزوير... إلخ.

¹ - عمر عبد الله المبارك، الزواهرة. المتغيرات الاقتصادية وأثرها على السلوك الجرمي والمنحرف. عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2013، ص 33.

"ثانيا: الاتجاه المقلل من أهمية دور العوامل الاقتصادية: بحيث يرى أنصار هذا الاتجاه أن للعوامل الاقتصادية دور محدود في تفسير الظاهرة الإجرامية، ما هذه العوامل إلا مساعدة أو مهينة للإجرام متى صادفت استعدادا إجراميا كافيا لدى الفرد، فهي وحدها لا تسبب الجريمة، ولا تؤدي دورا أساسيا في نشأتها، وإذا ما تعرض لها شخص لديه ميول إجرامي فمن غير المحتمل أن يكون لها أثر، وإنما تأثيرها كما سبق القول على من يتوافر لديه الاستعداد الاجرامي فيتحول الاستعداد من حالة السكون إلى حالة الحركة في صورة سلوك إجرامي".¹

وتبعاً للاتجاه الثاني نجد أنهم ربطوا ارتكاب الفعل الاجرامي بالظروف المهيئة، ومنها الاستعداد الاجرامي، أي أن العوامل الاقتصادية حسبهم لا تكون كسبب رئيسي مؤدي للإجرام، وحجتهم في ذلك أن العديد من أفراد المجتمع يعيشون في الفقر والحرمان لكنهم لا يلجؤون للجريمة، وهو ما يأتي كطرح مخالف لسيزار لومبروزو الذي تكلم عن المجرم بالميلاد، كما أنه يتوافق مع طرح ديتيليو الذي ركز على الاستعداد الاجرامي كعامل مهية لارتكاب الفعل الإجرامي.

"ثالثا: الاتجاه المعتدل في تقدير دور العوامل الاقتصادية: فهذا الاتجاه الذي يتوسط بين الاتجاهين السابقين فلا يهول من شأن العامل الاقتصادي بحيث يحجبون أنفسهم عن رؤية عوامل أخرى لها دور هام في مجال الإجرام، ولا يقللون من أهمية هذا العامل في إحداث السلوك الإجرامي، وإنما يذهبون مذهباً وسطاً لا إفراط فيه ولا تفريط لدور العوامل الاقتصادية في تفسير السلوك الإجرامي"²

ومن خلال الاتجاه الثالث نرى أن أنصاره يرون أن الجانب الاقتصادي ليس وحده المؤثر في ارتكاب السلوك الإجرامي، كما أنه بالمقابل لا يمكن إهمال دوره في ارتكاب الفعل الإجرامي، وهو ما يقودنا لنظرية العوامل المتعددة لأنريكو فيري.

وتبعاً لما سبق قد يمكن القول أن أي فعل أو سلوك الإجرامي لا يكون بمحض الصدفة بعيداً عن العوامل الدافعة له، وإنما دائماً نجد هناك مسببات تختلف من مكان لآخر ومن جي لجيل، لهذا لا يمكن أن ننكر دور العوامل الاقتصادية من فقر وبطالة والتهميش وأقصاء ودورهم في ارتكاب الفرد للفعل الإجرامي.

¹ - عمر عبد الله المبارك، الزواهرة. نفس المرجع السابق، ص ص 33-34.

² - نفس المرجع السابق، ص 34.

2- البيئة المدرسية ودورها في تكوين الفرد المجرم:

تعتبر المدرسة من بين أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بحيث يتعلم فيها الطفل التربية ويتلقن فيها دروس، بحيث تتنوع أدوارها في إكساب التلاميذ الاتجاهات والإعتماد على النفس في تنظيم أمورهم واحترام القوانين من خلال تنشئتهم اجتماعيا، فالمدرسة تكمل تربية الأسرة من خلال العلاقة بين التلميذ والمعلمين، كما أنها المسؤولة على غرس التراث الثقافي من التوعية.¹

دون أن ننسى طبعاً فامدرسة تعمل على تنمية شخصية الطفل من خلال القوانين والضوابط مع تعزيز ما يملكه من عادات وتقاليد والسعي إلى تكييف الطفل من خلال الانفعالات ووضع التلاميذ في مواقف لتحفيزهم بالاعتماد على أنفسهم، بهدف تحقيق النمو النفسي وبث روح الإبداع في أنفسهم وعدم التساهل المفرط معهم لكي لا ينموا متكئين على الآخرين غير مشاركين في الحياة.²

فالمدرسة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية تعتبر هي الركيزة الأساسية بعد الأسرة، نظراً لما تقدمه من ضبط للسلوك كذا التربية والتعليم والتثقيف، وهو ما أكسبها القداسة من طرف أفراد المجتمع مقابل ما تقدمه، كما تسعى لإنتاج تلميذ قادر على تحقيق نفسه وباحثاً عن طرق وأساليب بهدف ضمان مكانته ضمن البناء الاجتماعي، وكل هذا لا يتأتى إلا من خلال اتباع القيم والعادات والتقاليد والأنماط الاجتماعية، لذلك فالمدرسة تعتبر البيئة الثانية بعد الأسرة المسؤولة عن تعليم هذه الأمور للتلميذ.

ولكن رغم الأمور الإيجابية التي تقدمها المدرسة للناشئة، إلا أنه لا يمكن إنكار وجود سلوكيات وأفعال إنحرافية داخل البيئة المدرسية والتي بدورها قد تساهم في إنتاج فرد مجرم أو منحرف، ومن بين الأمور الإنحرافية نذكر:

العنف المدرسي: فالعنف أصبح من بين أخطر الظواهر الانحرافية في الوسط المدرسي، فهو يختلف بين المباشر وغير المباشر، كما قد يكون فردياً أو جماعياً، وقد يكون بدنياً أو لفظياً أو رمزياً، وقد يظهر هذا العنف نتاجاً عن الاستفزاز يسبقه دافع، بحيث يسعى الطالب للبحث عن طريقة للدفاع عن نفسه ضد هذا الدافع الذي قد يكون

¹ - عبد الفتاح، أبو نعال. أدب الأطفال وأساليب تربيتهم. عمان: دار الزوق 2009، ص 243.

² - نفس المرجع السابق، ص 230.

تهدادا أو غير ذلك، كما أن هناك العنف الذي يكون بهدف إثبات الذات ويظهر بصفة خاصة في مرحلة المراهقة، بحيث يمارسه بعض الطلاب بهدف البحث عن إثبات الذات.¹

1-2 سوء اختيار المعلمين:

يعتبر سوء اختيار المعلمين من بين الأسباب التي قد تدفع بالتلميذ لاكتساب سلوك إنحرافي داخل البيئة المدرسية، فالمعلم يعتبر الركيزة الأساسية في العملية التعليمية وبناء جيل متماسك اجتماعيا، ولكن البعض منهم قد يكونوا كعائق أمام تحقيق هذا المبتغى، ومن بين أهم الأمور التي قد تجعل الطفل ينحرف تبعا للمعلم نجد:

- إثارة الفوضى والشغب: يوجد العديد من التلاميذ الذين يعتمدون مخالفة الجو العام في القسم ويتسببون بالفوضى ويحدثون شغبا داخل القسم أو الساحة، مما يؤثر سلبا على تركيز زملائهم وعلى أداء المعلم.

- الغيابات المتكررة للتلميذ والهروب من المدرسة: فالتلميذ تكون له رغبة في الابتعاد عن جو المدرسة، لأنها أصبحت تشكل له ما يشبه السجن والثقل الكبير عليه.

- الاعتداءات اللفظية: هذا المظهر أكثر شيوعا في المدرسة ويندرج ضمن فئة العنف المعنوي، ويتمثل في توجيه الكلام القاسي المؤلم أو الفاحش ضد الزملاء أو الأساتذة أو العاملين في المدرسة، وأيضا السب والشتم والإيماءات والحركات التي يقوم بها التلميذ والتي يخفي من خلالها سلوكا عنيفا.²

ولا شك أن المتضمن أو الدارس لهذه الأسباب سألقة الذكر يتساءل، ما العلاقة بين سوء اختيار المعلمين وهذه الأنواع من الانحرافات داخل المدرسة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نشير إلى ضرورة التكوين البيداغوجي الجيد واثره على تحقيق جودة التعليم وكيفية ضبط الصف بطريقة إيجابية، فالمعلم الذي يترك وقت فراغ كبير لتلاميذه داخل القسم نجد أنه قد يكون فاشل بيداغوجيا، لأنه لم يستطع تقسيم وقته وإدارة حصته بما يضمن له ضبط سلوك التلاميذ من جهة، وممارسة عملياته التعليمية على أكمل وجه من جهة أخرى.

¹ - فهد علي عبد العزيز، الظهار. العوامل المؤدية للعنف لدى الطلاب في المرحلة الثانوية. دار النهضة للنشر والتوزيع، 2005، ص 60.

² - بوزيدة، عبد الرحمن. "العنف في ثانويات العاصمة". رسالة ماجستير، جامعة الجزائر. 2007-2008، ص 67.

ثم نحاول التساؤل؛ لماذا يهرب/أو يتغيب التلميذ من المدرسة؟، ولو بحثنا أكثر لوجدنا أن طبيعة العلاقة بين التلميذ والأستاذ قد تكون كسبب رئيسي مساهم في ذلك، ولعل هناك نماذج كبيرة من الشباب الذين تسربوا مدرسيا في وقت مبكر وقد يرجع السبب الرئيسي للوصم والتنمر الذي يعاني منه التلاميذ، والذي يكون من الأستاذ صوب التلميذ في صور (ماراكش نتاع قراية، راك تتعب في والديك ...)، هناك عبارات كثيرة التي تحطم الرغبة وتنزع الإرادة من التلميذ.

فالقسوة والعنف الزائد الذي يتعرض له التلميذ داخل الصف قد يساهم في نفوره من المدرسة ويجعله يكره كل ما له علاقة بها، ولو طرحنا سؤال على أي شخص عن الأستاذ الذي ضربه في مرحلة التعليم الابتدائي لوجدنا أنه مازال يتذكره، حتى ولو مرت سنوات طويلة، فالعنف والقسوة الزائدة قد تجعل الطفل يعيش ناقما من الأستاذ وكذا التعلم بصفة عامة.

كما أن الوصم الاجتماعي يعتبر من أخطر الأفعال التي قد تدمر العلاقة بين الأستاذ والتلميذ، فقد يتم نعت التلميذ بالفاشل أو الغبي أمام زملائه، وهو ما يجعل الطفل يعيش ناقما من الواقع الاجتماعي محاولا بذلك البحث عن طرق وأساليب قصد الإنتقام من المعلم الذي أساء له، وقد يتجلى ذلك في إثارة الشغب والفوضى داخل الصف، أو محاولة الاعتداء على زملائه بهدف إعادة إثبات ذاته...

2-2 سوء اختيار القائمين على إدارة المدرسة:

تعتبر المدرسة المحضن الأساسي للأفراد بعد الأسرة، باعتبار أنها مكتملة لعملية الضبط الاجتماعي وكذا التعليم والتربية والتكوين، فالطفل في مراحله العمرية الأولى يكون عبارة عن صفحة بيضاء، وفي المدرسة يتعلم وتصلق مواهبه، إلا أن هذا الأمر لا يتم إلا من خلال وجود جو يسوده التفاهم والهدوء وكذا عملية التضامن الاجتماعي داخل المنظومة التربوية، وهو ما يعتبر كعامل مساعد على خلق جو تعليمي جيد، ولكن بالمقابل قد نجد أن سوء اختيار القائمين على المدرسة قد يكون له أثر سلبي على التنشئة الاجتماعية للأبناء المتدربين، بل وقد يؤدي لانحرافهم أو حتى لانحراف العاملين فيها.

ومن بين العوامل المساهمة في تكوين الفرد المجرم أو المنحرف تبعاً لسوء اختيار القائمين على المدرسة نجد:

2-2-1 غياب فاعلية مستشار التربية وأثرها على سلوك التلاميذ داخل المدرسة:

يعتبر مستشار التربية حلقة مهمة في المؤسسات التربوية، باعتبار أنه يربط بين الإدارة والتلميذ والمعلم، كما يشرف على تكوين المساعدين التربويين، ويحث التلاميذ على العمل والمثابرة والاجتهاد بهدف التطلع لتحقيق نتائج جيدة، كما أنه له عدة مهام سواء ما تمثلت في الجانب التربوي أو البيداغوجي أو الإداري وحتى المالي، ولهذا سنحاول من خلال هذه الشرح الحديث عن الجانب التربوي، بحيث نجد أن أهم مهامه في هذا المجال تتجسد فيما يلي:¹

- تطبيق النظام الداخلي للمؤسسة والحفاظ على النظام والانضباط داخل المؤسسة.
- مراقبة حضور التلاميذ وانضباطهم وسلوكهم.
- الاتصال والتعاون مع المدرسين بشكل عام بهدف جمع المعلومات عن التلاميذ.
- إنه المسؤول عن تنمية الأنشطة الثقافية والرياضية والعلمية والأدبية، باعتباره أميناً عاماً للجمعية الثقافية والرياضية للمدرسة، ومسؤول عن تأطير التلاميذ وتنظيمهم خلال التظاهرات والنشاطات داخل المدرسة.
- دراسة أوضاع التلاميذ الاجتماعية والاقتصادية.

فبالرغم من المكانة المهمة التي يحتلها مستشار التربية في المؤسسة التربوية إلا أنه يكون كسبياً مساهماً في انحراف التلاميذ داخل المؤسسة، باعتبار أنه يحرص على تكوين المساعدين التربويين، لهذا فأى خلل في عملية تكوين المساعد التربوي قد ينعكس على أداء مستشار التربية ومنه قد يؤدي لانحراف التلاميذ، خاصة عند الاشتباه بوجود حالات انحرافية، ولعل الواقع الاجتماعي يكشف لها بعض الظواهر الانحرافية والإجرامية التي باتت تحدث داخل المؤسسات التربوية في صور العنف الرمزي والجسدي، التنمر، تعاطي والترويج للمخدرات خاصة لدى المراهقين.

¹ - عزاق، فاكية. "الانحراف في المجال التربوي بين المسؤولية الأسرية والرقابة المدرسية". أطروحة دكتوراه. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2023-2024، ص ص 210-211.

فغياب عامل التواصل الفعال مع التلميذ من طرف الإدارة عامة ومستشار التربية ومساعديه خاصة قد يكون كعامل مساهم في انحرافهم، دون أن ننسى بعض السلوكات التي باتت تنتشر في البيئة المدرسية في صورة تصوير المعلمين أو حتى الزملاء ونشرها عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كلها أمور انحرافية قد تنتج عن قلة أو غياب عامل الرقابة المدرسية على التلاميذ.

كما نجد أن هناك بعض السلوكات الانحرافية داخل المدرسة التي تؤثر على السير العام لعملية التربية والتكوين مثل السرقة والعنف والتدخين وغيرها من السلوكات الانحرافية الأخرى، فالغش والسرقة واتلاف الممتلكات والعنف الموجه ضد المعلمين والمعلمات والتلاميذ داخل الصف الدراسي، تعتبر من الأمور التي يمكن أن تهدد العملية التعليمية بمجملها، وهناك أنماط سلوكية غير مرغوب فيها داخل حجرة الدراسة قد تؤثر على السير العام للحصة أو الدرس في صور الشرقة، الضحك، التهريج.¹

فانتشار مثل هكذا سلوكات انحرافية داخل المؤسسة التربوية تخلق لنا حالة من الإغتراب لدى المتدريس، بحيث قد يرى أنه غير مرغوب فيه داخل المؤسسة التربوية لهذا يسعى لمثل هذه الأفعال الانحرافية بهدف إبراز ذاته والبحث عن التقدير من طرف الآخرين.

كما أن انغلاق المدرسة على نفسها من خلال منع تنظيم حملات توعوية وتحسيسية، بالإضافة لمنع القيام بدراسات علمية ميدانية بحجة تشويه المدرسة قد تساعد على تفاقم مثل هذه الظواهر، فالمتخصص والعارف بالشأن التربوي وكذا بأسباب السلوكات الانحرافية قد يكون كحل مساهم في التقليل منها، عندما يستطيع تشخيصها ومعرفة الأسباب الرئيسية المساهمة فيها.

كما أن غياب أو بالأحرى نقص التكوين لدى بعض الأساتذة قد يكون كعامل مهية لانحراف التلميذ، خاصة إذا لم يستطع المعلم التحكم في سلوك التلاميذ، وكذا عدم اطلاعه على الطرق الجديدة في عملية التدريس والتقييم، وهو ما يعتبر كعامل مهية لانحراف التلاميذ، بالإضافة لمشكلة الدروس الخصوصية والتي قد تعتبر من بين العوامل المساهمة في انحراف التلاميذ، والمتتبع للواقع المعاش خاصة لدى تلاميذ المرحلة النهائية يجد غياب شبه جماعي في الفصل الثالث من المدرسة، نظرا لأن الفئة المستهدفة (التلاميذ) يتوجهون للدروس الخصوصية، ويهملون الدروس الحضورية في المؤسسات التربوية.

¹ - عائشة، صالح . محمد، كجمان . "أنماط الانحرافات السلوكية المنتشرة بين تلاميذ التعليم الأساسي بالمرحلة الإعدادية في بعض المدارس بمدينة بني الوليد". مجلة العلوم التربوية. المجلد 5، العدد 1، (2024)، ص ص 248-249.

فالمدرسة وجب كفضاء تعليمي تربوي تساهم في إنشاء جيل واع وقادر على تحمل المسؤولية، ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف إلا بوجود فريق علمي متكامل، يسعى لتقديم خدمات بهدف الارتقاء بالعملية التعليمية وبناء جيل قادر مساهم في تحقيق عملية البناء الاجتماعي.

3- بيئة العمل ودورها في تكوين الفرد المجرم.

تعتبر بيئة العمل من بين الأماكن التي يسعى الفرد لتحقيق ذاته فيها والبحث عن مكانة له في وسط زملائه، باعتبار أنها تساهم في تنمية المهارات القيادية وبناء الشخصية، بالإضافة لبناء علاقات اجتماعية ضمن الوسط العمالي، ولعل التغير الاجتماعي الذي حدث في المجتمع من خلال الانتقال من النظام الاشتراكي إلى النظام الرأسمالي قد أثر على العلاقات العمالية، وهو ما قد يؤثر على طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل العمل، خاصة في ظل ظهور الاغتراب الوظيفي.

فالاغتراب حالة من الانفصال عن الواقع وعن كل ما فيه من الأفكار والمبادئ والقيم والعادات والالتزامات الاجتماعية، أما الاغتراب الوظيفي فهو شعور الفرد بالوحدة والتفكك وعدم الانتماء للوظيفة أو جماعة العمل¹، فهو حالة من التفكك داخل بيئة العمل بحيث يحس الفرد بالانتماء للجماعة التي يعمل معها، ومنه نتساءل: ماهي أهم الأسباب التي قد تجعل الفرد يعيش حالة اغتراب داخل عمله، وكيف يؤثر ذلك على سلوكه العام؟ وقد يكون مرد ذلك إلى العديد من العوامل والأسباب كاختياره الخاطئ للمهنة

¹ - صورية، زاوي. سهام، موسي. "أثر جودة العمل على مستوى الاغتراب الوظيفي". مجلة اقتصاديات شمال إفريقيا، المجلد 17، العدد 26، (2021)، ص 572

3-1 الاختيار الخاطئ للمهنة أو العمل من قبل الفرد:

يعتبر اختيار المهنة من بين أهم الأمور التي يوليها الفرد أهمية بالغة في حياته، باعتبار أنها السبيل الذي يوفر له قوت يومه، وتحقق له مكانة اجتماعية ضمن محيطه العام، مما يجعله شخصا فاعلا في المجتمع، وبقدر ما توفر المهنة الاستقرار المادي للفرد والمساهمة في النهوض الاقتصادي للبلد، قد يؤثر كذلك على العامل، خاصة حينما يكون الاختيار خاطئ، فقد يكون هذا الأخير بين حتمية البقاء فيها بما يضمن له مستقبل ومعاش في التقاعد، أو بين الانفصال عن العمل، وهنا قد يعيش هذا العامل صراع داخلي وقد يكون مرده للمشاكل التي تنتج داخل بيئة العمل، ومن بين أهم الأسباب التي قد تساهم في هذا الاغتراب نجد:¹

- تقسيم العمل وشعور الفرد بعدم معنى وأهمية العمل الذي يقوم به.
- العلاقات الاجتماعية السائدة داخل المنظمة، سواء بين الزملاء أو بين الفرد والإدارة، فكلما كانت هذه العلاقات جيدة وسادها الاحترام والتعاون والإصغاء إلى المشكلات ومحاولة حلها.
- ضعف الحوافز والمكافآت التي تزيد من النشاط والدافعية للعمل.
- صراع الأدوار وعدم توافقها مع قدرات الفرد

ففي ظل التغير والتطور التكنولوجي الحاصل نجد أن العامل الذي يقوم بتحديث طرق العمل الخاصة به قد يعيش مغتربا خاصة في ظل تقسيم العمل، بحيث يكون مطالبا بتحقيق قدر من الإنتاجية وهو ما قد يجعله يعيش حالة ضغط تبعا للمستوى المحدود له، فكل شخص يسعى لإتمام عمله وفق نمط وزمن معين، وهو ما قد يؤثر بالسلب على من يفتقر إلى الخبرة التكنولوجية والتحول الرقمي، لهذا فقد يحدث نوع من صراع الأدوار داخل بيئة العمل، ويتم إقصاء البعض بحجة عدم كفاءتهم، أو قد يتم تحويلهم لمناصب أخرى وهو ما قد ينعكس عليهم بالسلب، مما يجعلهم يدخلون في مشاحنات وصراعات فردية تؤثر بدورها على الحالة العامة لبيئة العمل.

ففي ظل ظهور الفوارق بين العمال قد تختفي العلاقات الاجتماعية من تعاون وإصغاء واحترام، ويحل محلها زيادة الإنتاجية والصراع بهدف البحث عن التمتع داخل بيئة العمل، وهو ما قد ينعكس بالسلب على العامل ذو المستوى المتوسط وذو المردودية المتدنية في بيئة العمل.

¹ - صورية، زاوي. سهام، موسى. المرجع السابق، ص 572.

3-2 نوع العمل أو المهنة ذاتها:

يعتبر نوع العمل من بين الأسباب التي قد تساهم في انحراف الأفراد، ولعل عمالة الأطفال من بين أهم الأسباب التي قد تدفعهم إلى اللجوء للجريمة والانحراف، خاصة عندما ترتبط العمالة بظاهرة التسول، والمتتبع للواقع الاجتماعي قد يجد في كثير من الأحيان أن بعض الآباء الذين تخلوا عن مسؤولياتهم الاجتماعية قد أقحموا أبناءهم في عالم الشغل، في صور بيع بعض الأمور التقليدية (خبز الدار، اللبن، البيض المسلوق ...)، كل هذه الأمور قد تجعل الأطفال ينحرفون عن جادة الصواب، مما يتسربون من المدرسة في أوقات مبكرة نتيجة للعمل الذي كانوا يمارسونه وهو ما قد يجعلهم عرضة لمختلف المخاطر الاجتماعية.

كما قد يدخل بعض المتغيرات التي تؤثر على الفرد، خاصة عند اختلاطه برفقاء السوء وذوي السوابق العدلية، وهو ما قد يفتح المجال له لتعلم سلوكات انحرافية أو إجرامية من خلال عملية الاختلاط، وهنا نجد تعتبر من بين أهم النظريات المفسرة لذلك؛ " وحسب النظرية نجد أنها تفسر السلوك الإنحراقي كظاهرة اجتماعية، باعتباره سلوك مكتسب اجتماعيا عن طريق التعلم، فهو ليس نتاج الوراثة"¹.

فبيئة العمل تعتبر كمجتمع مصغرا، لذلك فقد يتأثر العامل بكل ما يدور فيه نظرا لطول مدة الاتكاك بزملائه، لهذا فقد يكتسب سلوكات وأفعال غير مقبولة اجتماعيا نتيجة هذا الاختلاط.

¹ - سمير، يونس. "الإسهامات السوسيو نظرية في ميدان دراسة الانحراف والعود إلى الانحراف". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 23، (2026)، ص 184.

3-3 السلوك المنحرف لبعض الرؤساء والزملاء في العمل:

يعد السلوك المنحرف في مكان العمل من السلوكيات التي تتعارض مع المعايير التنظيمية وتضر بالإنتاجية المنظمة، ويمكن اعتبار أصغر شكل من أشكال السلوك السليبي مثل أخذ فترات راحة أطول خلال وقت الغداء بأنها سلوك منحرف في مكان العمل، لأنه ينحرف عن المعايير التنظيمية ويؤثر على الإنتاجية، كما تختلف أبعاد هذا السلوك وتعدد، ويمكن الاستناد لبعدين رئيسيين لقياس سلوك العمل المنحرف كمايلي:¹

3-3-1 سلوك منحرف تجاه المنظمة: يشمل الانحراف الموجه نحو المنظمة كل السلوكيات التي يشارك فيها الموظفون المنحرفون والتي تؤثر في نهاية المطاف على الإنتاجية الكلية للمنظمة مثل إجراء المكالمات الشخصية، والبطء في العمل عن قصد والتكاسل متصفح شبكات الإنترنت ...، كذلك تشمل هذه السلوكيات بقيام العامل بتلف أو الحصول على أصول ملموسة دون إذن بما في ذلك السرقة والتخريب وسوء استخدام الأموال والتعمد في صنع الأخطاء.

3-3-2 سلوك العمل المنحرف تجاه الأفراد: هو أكثر علاقة مع إحباط الأقران من خلال القيل والقال وإلقاء اللوم، قد ينظر إلى هذا النوع من السلوك على أنه ثانوي، ولكن لا يزال غير صحيح داخل المنظمات، وهناك أسباب كثيرة تفسر لماذا العاملين لديهم نية على أن يسبب الضرر في مكان العمل، ومن بين هذه الأسباب هي شعور العاملين بالظلم لأنهم يعتقدون أن توقعاتهم قد تم اختراقها، وبالتالي سوف تكون الحاجة إلى الانتقام، دون أن ننسى نشر الشائعات والوشاية بغرض الحصول على امتيازات.

فالانحراف يعتبر كفعل مناف للقاعدة الاجتماعية ويخرج عن المعايير التي اتفقت عليها الجماعة، كما أن الانحراف داخل المنظمة قد يكون ضد بيئة العمل أو المؤسسة ويتمثل في تخريب الممتلكات، السرقة سواء في الوقت من خلال تصفح الهاتف وكذا مواقع التواصل الاجتماعي، أو من خلال الوصول المتأخر لمقر العمل والمغادرة باكرا، فكلها سلوكيات انحرافية قد تؤثر على السير العام للمؤسسة بصفة عامة، وعلى الإنتاجية بصفة خاصة.

¹ - لاسك ارسلان، بايز وآخرون. "دور سلوك العمل المنحرف في تفعيل الأزمات التنظيمية". المجلة العلمية لجامعة جيهان السليمانية، المجلد 3، العدد 2، (2019)، ص ص 270-271.

دون أن ننسى الإنحراف الذي يجب التركيز عليه، وهو ما يتعلق باختلاق المشاكل والتدخل في خصوصيات الآخرين، فقد يكثر القيل والقال بين العمال على موظف أو موظفة، بل قد يصل بهم الأمر إلى اتهمه في شرفه أو عرضه وهو ما قد يعكر سير المؤسسة، ناهيك عن بعض التجاوزات في صور التحرش الجنسي ضد العمال في المؤسسات سواء من طرف الزملاء أو حتى من طرف الرؤساء في العمل، دون أن ننسى الوشاية التي أصبحت من بين أهم وسائل الانتقام الأكثر ممارسة في المؤسسات والإدارات العمومية تبعا للواقع المعاش، بالإضافة لنشر الشائعات والأخبار الكاذبة بين العمال، فكل هذه المظاهر السلوكية الإنحرافية قد يؤثر على الجو العام للمؤسسة وتخلق حالة من الفوضى والاستقرار الاجتماعي، مما قد تساهم في تعزيز السلوكات الإنحرافية وقد تصل إلى الجريمة في حال ما لم يتدخل مسؤولي هذه المنظمات العمالية.

3-4 عدم الالتزام بتطبيق التشريعات الخاصة بالعمل.

يحتل قانون العمل أهمية كبيرة تفوق غيره من القوانين الأخرى وتظهر هذه الأهمية بالنسبة للأفراد في أثرها على حياتهم الاقتصادية، حيث أن هذه الأهمية ذات بعد اجتماعي، واقتصادي مرتبطة بمعيار عددي، هذا المعيار يؤثر اجتماعيا، واقتصاديا، كيف ذلك؟ أي تعديل يطرأ على قانون العمل يؤثر مباشرة على عيش عدد كبير من الناس، فقانون العمل يمس المصالح الحيوية لمجموعة كبيرة من السكان هم العمال الذين يشكلون الأكثرية والذين يقومون بعمل تابع لحساب، وتحت سلطة، وإشراف أصحاب العمل واعتمادهم في معيشتهم غالبا على هذا العمل وما يتقاضونه من أجر مقابل ذلك، هنا تبرز الأهمية الاجتماعية لهذا القانون الذي يطبق عليهم، فهذا القانون ينظم كيفية حصولهم على ما يستحقونه من أجر مقابل العمل، كما يحدد ساعات العمل، وأوقات الراحة، والإجازات المرضية كما يحقق هذا القانون تحسينا لظروف العمل، ويتضمن قواعد لحماية فئات معينة كالأحداث، النساء، الأجانب، وذوي الاحتياجات الخاصة، ويمكن القول أنه بمقتضى قانون العمل يتحدد الوضع الإنساني، واللاإنساني لحياة العمال، أي أن قانون العمل يعمل على تنظيم المسائل الاقتصادية، والاجتماعية.¹

فقانون العمل وجد لكي يقوم بحماية الموظف وإعطائه كامل حقوقه التي يخولها له القانون للحصول عليها، في صور عدد ساعات العمل وكذا الأجر الممنوح مقابل كل ساعة، بالإضافة لأوقات الراحة وكذا الإجازات المرضية والعطل السنوية وكذا الامتيازات، بالإضافة لعطل الأمومة بالنسبة للنساء، فكل هذه الأمور كفلها قانون العمل

¹ - هبة، سايف. السيرورة التاريخية لقانون العمل بشكله الحديث. محاضرات منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل، الجزائر، ص 13. <https://elearning.univ-jijel.dz/mod/folder/view.php?id=72506>

للموظف، ولكن قد يحدث نوع من الصراع داخل بيئة العمل في حال ما إذا تم الإخلال ببعض بنود قانون العمل سواء من طرف الموظف في صور التغيب، أو الامتناع عن أداء مهامه وواجباته المنوط بها، أو عدم احترامه لزملائه داخل بيئة العمل، وهو ما قد ينعكس بالسلب على عملية سير المؤسسة.

كما قد يكون الموظف كضحية لرؤسائه في العمل نتيجة لإقصائه في الحصول على حقه في العمل، كعدم احترامهم للوقت الممنوح للعمل، بالإضافة لخصم الراتب وكذا التلاعب بمردودية العامل، ناهيك عن زيادة العمل لموظف على حساب آخر، كلها سلوكيات وأفعال إنحرافية قد تؤثر على العامل وتخلق حالة من الاغتراب الوظيفي، مما قد تؤثر بصورة عامة على الإنتاجية أو حتى على طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل المنظمة، وهو ما قد ينتج عنه صراعات ومشاكل اجتماعية في بيئة العمل.

4- البيئة الترويجية ودورها في تكوين الفرد المجرم

1-4 المكان

يعد المكان البيئة التي يعيش فيها الفرد وينتمي إليها منذ ولادته، فقد يتأثر ويؤثر فيها، لهذا سنحاول من خلال هذا العنصر الحديث عن المكان وأثره على تكوين الفرد المجرم

4-1-1 الحي الشعبي وأثرها على انحراف الأفراد.

"ويظهر الحي الشعبي كوحدة عمرانية له تنظيم معين تسكنه فئات من عامة الناس من الفئات الشعبية ذات الدخل المحدود والمستوى المعيشي الضعيف أو المتوسط، تمتاز هذه الأحياء بالقدم وهي أحياء مخططة ومهيكلية أغلب بناءاتها مبنية بمواد محلية تمتاز بالبساطة، كما يعرف عن الحي الشعبي بصفة عامة على أنه مكان التقاء فئات اجتماعية مختلفة تمتاز حياتهم اليومية بالتعقيد من جراء الاكتظاظ الكبير الذي تشهده، وعلى الصعيد العمراني من حيث التخطيط فإن مثل هذه الأحياء تمتاز بأزقتها الضيقة وتداخل منازلها وقلة المرافق الضرورية داخل المنزل"¹.

فالأحياء الشعبية بقدر ما تعبر عن الأصالة والبيئة الأولى التي نشأ فيها الفرد؛ من حيث طبيعة العمران فيها كذا العلاقات الاجتماعية أي أن الأفراد يعرفون بعضهم البعض، وهو ما قد يشكل مزيج اجتماعي مما يخلق نوع من اللحمة والتضامن، نجد في المقابل قد تكون كمكان مساهم في تكوين الأفراد المنحرفين، ومرد ذلك قد يكون

¹ -سعيدة، حاجي، مريم، بوشارب. "الفضاء المدني وعلاقته بالسلوك الإجرامي". مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 01، (2022)، ص 824.

بسبب الأزقة الضيقة والتي بدورها تسهل عملية الاعتداء وكذا الهروب من طرف المجرمين، ناهيك عن عدة عوامل كقلة أو انعدام الإنارة، وهو ما قد يعتبر كعامل مهيئ لانتكاب الأفعال الإجرامية، وأهم الجرائم التي قد تكثر في مثل هذه الأحياء الشعبية السرقعة، الإعتداء بمختلف أشكاله، انتشار المخدرات والآفات الاجتماعية بمختلف أنواعها.

4-1-2 الحي العصري ودوره في تكوين الفرد المجرم:

يعرف الحي العصري على أنه وحدة عمرانية تسكن فيها فئة من المجتمع خلال فترة زمنية قصيرة، ومعظمها حديثة النشأة مقارنة بباقي الأحياء، كما أن الهدف من إنشائها يرجع لحل أزمة السكن والتي أصبحت تعاني منها جل المدن، وما يميز هذه الأحياء أنها لا تراعي التقاليد والعادات على الصعيد الاجتماعي والعمراني، كما أن الطابع العمراني الخاص بها مبني بوسائل وأشكال مخالفة على التي عرفت بها الأحياء القديمة أو الشعبية، باعتبار أنها ذات ارتفاع به عدة طوابق لها شكل هندسي موحد وعدم وجود بعض التجهيزات ذات الأهمية الكبرى مثل الأسواق.¹

فالأحياء العصرية تتميز بعدم معرفة الأفراد لبعضهم البعض وهو ما قد يساهم في إقصاء بعض العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية، كما أن بعض الأفراد قد تكون مدة السكن فيهم مؤقتة، وهو ما قد يؤثر على البناء الاجتماعي للأفراد، باعتبار أن الجزائر وفرت العديد من الصيغ السكنية حسب مستوى الدخل للأفراد، لهذا فقد نجد أن السكنات الاجتماعية قد تسكنها فئة متوسطة الدخل ناهيك عن المستوى الثقافي والاجتماعي المتوسط، وهو بدوره ما قد يؤثر على الأفراد ويجعل هذه الأحياء كأماكن مهيئة للانحراف والجريمة.

4-2 أوقات الفراغ:

يعتبر الفراغ من بين أكثر المشاكل التي يعاني منها أفراد المجتمع اليوم، باعتبار أن صاحبه قد يعيش في حالة من التيهان بعيدا عن متطلبات الواقع الاجتماعي، خاصة لدى فئة الشباب عامة والمراهقين بالخصوص، فقد يؤثر وقت الفراغ على الجوانب النفسية والسلوكية والاجتماعية والاقتصادية للأفراد.

¹ - سعيدة، حاجي، مريم، بوشارب، المرجع السابق. ص 825.

وبالحديث عن آثار وقت الفراغ على الفرد والمجتمع نجد أنه قد ينعكس بالسلب، خاصة لما نرى بعض الإحصائيات الخاصة بالجرائم والتي يكون مردها وقت الفراغ؛ "بحيث نجد أن بعض الإحصائيات الخاصة بستة أشهر الأولى من سنة 2014 التي قدمها ممثل الشرطة القضائية لقيادة الدرك الوطن، أن 57,30% من المتورطين في الجرائم تتراوح أعمارهم بين 18 و 30 سنة، و 25,63% ممن تتراوح أعمارهم بين 30 - 40 سنة، فيما قدرت نسبة المتورطين الذين تجاوزت أعمارهم 40 سنة بـ 13%، مما يبين أن الجريمة منتشرة أكثر بين الشباب"¹

وتبعاً للإحصائيات سألنا الذكر نجد أن فئة الشباب تعتبر من أكثر المراحل العمرية قابلية لارتكاب الأفعال الإجرامية، وقد يكون مرد ذلك إلى وقت الفراغ وسوء استثماره، خاصة في ظل غياب عملية الرقابة والتابعة الأسرية، ناهيك عن الأحياء الفوضوية والبنائات المهشة التي قد تكون كعامل مهيج لولوج هؤلاء الشباب إلى الجريمة والانحراف، فكثرة وقت الفراغ قد تجعل صاحبها يعيش حالة تيهان مغتربا عن المجتمع، مما قد يتأثر نفسياً من خلال إصابته بأزمات نفسية، وقد ينعكس ذلك على سلوكه وأفعاله المضادة للمجتمع، كما قد يؤثر على البناء الاجتماعي، بحيث يصبح شخصا معطلا وهو ما قد يؤثر على الناتج المحلي.

4-3 الوسائل الترويجية:

لعل الحديث عن الوسائل الترويجية يعد من بين الإشكالات المطروحة في وقتنا الحالي، فقد نجد أن العديد من الشباب يشكون من غياب المرافق العمومية التي تساهم في التنفيس عنهم وكذا إبعادهم من الروتين اليومي، فهذا الأخير قد يجعل الفرد يعيش في دوامة الانحراف والإجرام.

وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن الترويج حاجة إنسانية ولها أهميتها، ويتوقف ذلك على الوعي الترويجي عند الفرد وأن يدرك مدى أهميته له وللمجتمع على حد سواء، فالترويج مظهر من مظاهر النشاط الإنساني يتميز بالصحة والإتزان، والصحة هنا بمعناها الواسع الذي يشمل الصحة الجسمية والعقلية والعاطفية، والترويج له مكانة مميزة في جعل الحياة متزنة بين العمل والراحة.

¹ - فتيحة، حمادي. "وقت الفراغ والترويج وعلاقتها بانحراف الشباب". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 46، ديسمبر

ويؤكد ذلك ميثاق الفراغ والترويح والذي ينص على أن كل فرد الحق في تعليم واكتساب المهارات الترويحية للاستفادة منها في استثمار أوقات فراغه، ولذا يجب على الأسرة والمؤسسات التعليمية والمجتمع الاضطلاع بتلك المسؤولية، كما يجب أن تقوم الدولة بتنظيم برامج دراسة لتعلم الأطفال والشباب وكبار السن المهارات الترويحية خلال وقت الفراغ لأن العائد من المشاركة في النشاط الترويحي سواء كان الرياضي أو ثقافي أو اجتماعي يجب أن يتمثل في مجموعة من الخبرات الإيجابية.¹

فالفراغ يعتبر من بين الأمور التي قد تساهم في انحراف الأفراد، وقد يكون مرد ذلك لغياب الأماكن والوسائل التي من شأنها أن تساهم في تطوير الأفراد وإشغالهم عن الأمور الانحرافية والإجرامية، ولعل المؤسسات الشبانية على اختلاف أنواعها تعتبر من بين أهم الأماكن التي من المفترض أن تحتوي الفئات العمرية خاصة الشبانية منها، بهدف استثمار أوقاتها والبحث عن أمور بديلة قصد تنمية المهارات وكذا القدرات الفردية.

والمتابع للواقع المعاش قد يجد أن العديد من الشباب عزفوا عن مثل هذه المؤسسات وفي مقدمتها دور الشباب، وقد يكون مرد ذلك ضعف أو انعدام البرامج والندوات التي تتوافق مع العصر التكنولوجي، ناهيك عن أن العديد منها قد يتم تكريسها لأشغال أخرى كتعلم الخياطة والحلويات بالنسبة للنساء، وهو الأمر الذي قد يخرجها عن نطاقها العام الذي وجدت إليه، وهنا يقصى الشاب مما قد يجد في الشارع كملاذ له بهدف تحقيق ذاته والبحث عن التمتع فيه.

ثم إن الأسرة كمحرك للتنمية الاجتماعية قد تساهم بدورها في تعطيل مهارات أبنائها، خاصة في ظل غياب عوامل المراقبة والمتابعة وكذا الحوافز، بل قد لا يسأل الأب عن ابنه أين كان، ولا يحاول البحث عن فضاءات قصد إدماجه فيها والتي من شأنها أن تساهم في تنمية القدرات الفردية للأفراد.

فانحراف الأفراد عامة وفئة الشباب والمراهقين خاصة تعتبر مسؤولية مجتمعية مشتركة، لهذا وجب تظافر الجهود من طرف كل الفاعلين في المجتمع بهدف احتواء هذه الفئة ووقايتها من طرق الانحراف التي قد تفتح لهم بابا للإجرام بشتى أنواعه في صور تعاطي وترويج المخدرات، السرقة، الاعتداءات بمختلف أنواعها.

¹ - مهدي، سحاسي. تلقين البيداغوجيا للأنشطة الترويحية. مطبوعة لطلبة الطور الثالث دكتوراه، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والتربية، جامعة باتنة 2، 2019 - 2020، ص 07.

الخاتمة:

وتبقى للأنثروبولوجيا الجنائية أهمية بالغة في مجال العلوم الجنائية نظرا للخدمة التي تقدمها، بحيث تربط بين كل من الجريمة والمجرم والضحية، وتسعى لخلق تكامل معرفي بين مختلف العلوم التي تساهم في البحث عن الحقيقة وكذا محاربة الجريمة من خلال الاستعانة بالخبرة الجنائية.

فلا يمكن لأي علم أن يوصلنا لنتيجة نهائية دون اللجوء إلى علوم أخرى، لذلك نجد أن المحقق الجنائي ومن خلال بحثه عن الحقيقة يلجأ لعدة علوم مساعدة على غرار علم البصمات وعلم الضحايا وعلم الأدلة الجنائية وعلم الاجتماع وعلم النفس...، كما أن هذه العلوم سألقة الذكر قد تشكل دائرة تكامل وهو ما يجعلها تنتج لنا قانون جنائي من خلال علم العقاب، والذي بدوره يساهم في ضبط سلوك الأفراد وفق أطر قانونية متفق عليها.

قائمة المراجع:

المعاجم والقواميس:

01- شاكر مصطفى، سليم. قاموس الأنثروبولوجيا الإنجليزي-عربي. جامعة الكويت، 1981.

الكتب:

02- اسحاق ابراهيم منصور. علم الإجرام وعلم العقاب. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

03- بيرتي، ج بيلتو. دراسة الأنثروبولوجيا المفهوم والتاريخ. ترجمة: كاضم سعد الدين، بغداد: بيت الحكمة للنشر، 2010.

04- بسام محمد، أبوعليان. الإنحراف الاجتماعي والجريمة. جامعة الأفضى: منشورات إي-كتب، 2016.

05- عيسى، الشماس. مدخل إلى علم الانسان (الأنثروبولوجيا). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004

06- عبد الفتاح، أبو نعال. أدب الأطفال وأساليب تربيتهم. عمان: دار الزوق 2009.

07- عايد عواد، الوريكات. نظريات علم الجريمة. الأردن: دار وائل للنشر، 2013.

08- عبد العظيم نصر، المشيخص. الإنحرافات الاجتماعية المشاكل والحلول. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 2005

- 09- حسين، فهيم. قصة الأنتروبولوجيا فصول في تاريخ الإنسان. الكويت: عالم المعرفة، 1987.
- 10- عمر عبد الله المبارك، الزاهرة. المتغيرات الاقتصادية وأثرها على السلوك الجرمي والمنحرف. عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2013.
- 11- فهد علي عبد العزيز، الظهار. العوامل المؤدية للعنف لدى الطلاب في المرحلة الثانوية. دار النهضة للنشر والتوزيع، 2005.
- 12- فاروق مصطفى، اسماعيل. الأنثروبولوجيا الثقافية. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
- 13- سعاد، علي شعبان. الأنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا. جامعة القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية، 2004.
- 14- محمد، يوسف النجار. ريتشارد، ماكولبامز. العظام في الدراسات الأنتروبولوجية والطبية والجناائية. تر: محمد يوسف النجار. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989.
- 15- مزوز، بركو. أطفال الشوارع القيم وأساليب التربية الوالدية. القاهرة: دار جوانا للنشر والتوزيع، 2014.
- المجلات العلمية:**
- 16- رزيقة، زراق. جهيدة، زرزوقي. "قراءات في الأنتروبولوجيا الجناائية". مجلة الأنتروبولوجيا، المجلد 06، 02 (2020).
- 17- ماجد، بن عايد الرويثي. "الأنثروبولوجيا الجناائية ودور الحمض النووي فيها". مجلة أوراق السياسة الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المجلد 01، (2020).
- 18- محمد فوزي، قميدي. "علم الضحية وإسهاماته في الحقل الجنائي". مجلة متون، المجلد 9، العدد 4، (2018).
- 19- علي، قصير. "الإهمال العائلي وتأثيره على سلوك الأحداث للجنوح نحو الجريمة في الجزائر". مجلة الإحياء، المجلد 15 (01)، (2015).
- 20- عائشة، صالح. محمد، كحمان. "أنماط الانحرافات السلوكية المنتشرة بين تلاميذ التعليم الأساسي بالمرحلة الإعدادية في بعض المدارس بمدينة بني الوليد". مجلة العلوم التربوية. المجلد 5، العدد 1، (2024).
- 21- صورية، زاوي. سهام، موسي. "أثر جودة العمل على مستوى الاغتراب الوظيفي". مجلة اقتصاديات شمال اقتصاديات شمال إفريقيا. المجلد 17، العدد 26، (2021).

22- سمير، يونس. "الإسهامات السوسيو نظرية في ميدان دراسة الانحراف والعود إلى الانحراف". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 23، (2026).

23- لاسك ارسلان، بايز وآخرون. "دور سلوك العمل المنحرف في تفعيل الأزمات التنظيمية". المجلة العلمية لجامعة جيهان السليمانية، المجلد 3، العدد 2، (2019).

24- سعيدة، حاجي، مريم، بوشارب. "الفضاء المدني وعلاقته بالسلوك الإجرامي". مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 15، العدد 01، (2022).

25- فتيحة، حمادي. "وقت الفراغ والترويح وعلاقتهما بانحراف الشباب". مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 46، (2016).

المطبوعات البيداغوجية:

26- مهدي، سحساحي. تلقين البيداغوجيا للأنشطة الترويجية. مطبوعة لطلبة الطور الثالث دكتوراه، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والتربوية، جامعة باتنة 2، 2019-2020.

27- عبد العزيز محمد، خواجة. محاضرات في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. محاضرات موجهة لطلبة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة غرداية، الجزائر 2014-2015.

<https://www.researchgate.net/publication/320004529>

28- هبة، سايف. السيرة التاريخية لقانون العمل بشكله الحديث. محاضرات منشورة، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل، الجزائر.

<https://elearning.univ-jijel.dz/mod/folder/view.php?id=72506>

29- الطاهر، غراز. محاضرات في مقياس انتروبولوجيا اجتماعية وثقافية. مطبوعة للسنة الثانية علم اجتماع، قسم علم اجتماع، جامعة الصديق بن يحيى جيجل، 2018-2019.

30- مصباح فوزية. مطبوعة لمحتوى مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية. ماستر 02، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر، 2020-2021.

رسائل ماجستير وأطروحات دكتوراه

31- بوزيدة، عبد الرحمن. "العنف في ثانويات العاصمة". رسالة ماجستير، جامعة الجزائر. 2007-2008.

32- عزاق، فاكية. "الانحراف في المجال التربوي بين المسؤولية الأسرية والرقابة المدرسية". أطروحة دكتوراه. جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2023-2024.

33- Antony Cevallos. From Bones to Identification: Addressing the Current Gaps and Challenges in Ecuadorian Forensic Anthropology. *Forensic Sciences journal*. 6(1), 2026, p 05.

<https://www.researchgate.net/publication/400090914>

34- Quintiliano Saldana. TUE NEW CRIMINAL ANTHROPOLOGY. *Journal of Criminal Law & Criminology*, volume 24, 1993, p336.

<https://scholarlycommons.law.northwestern.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=2389&context=jclc>